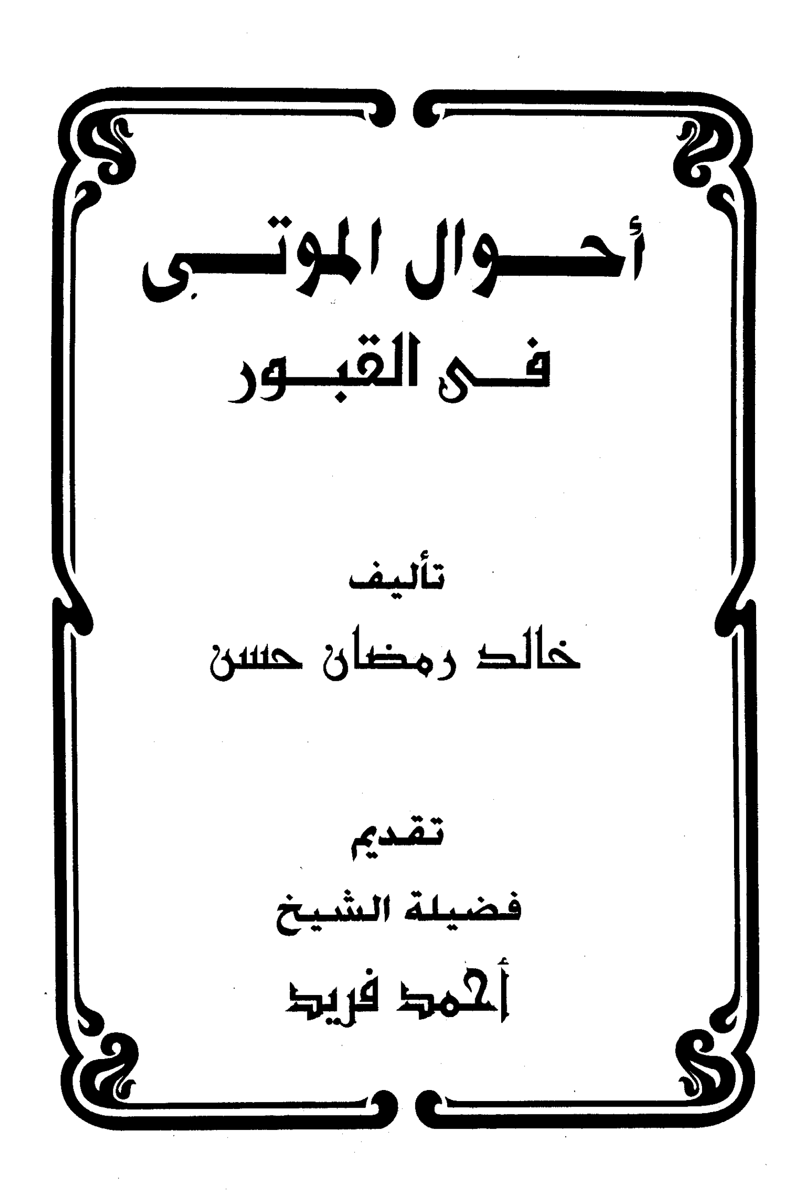


أحوال الموتى
في القبور

تأليف

خالد رمضان حسن

تقديم

فضيلة الشيخ

أحمد فريد

دار الروضة
للنشر والتوزيع

دار الرّوضة
للنشر والتوزيع

القاهرة : ص ب ٢٢٢٧

يطلب من

مركز توزيع الكتاب الإسلامي

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر

ت ٥١٢٣٦١١

نافذتك على الفكر الإسلامي العربي والعالمي بما تقدم لك من روائع الكتب التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة في مختلف المجالات

يديرها ويشرف عليها سامي الطرابيشي



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله .

أما بعد :

فهذا الكتاب يتعرض لبيان أحوال الموتى والقبور فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة ، بعيداً عن كلام المتكلمين ، وشطحات الواعظين التى أثبتت فى أحوال الموتى والقبور ما ليس ثابتاً وغير صحيح .

و الله تعالى أسأل القبول والنفع ، إنه سميع مجيب الدعاء ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن :

الحمد لله رب العالمين

وكتب :

أبو الحارث السويفى السلفي

خالد بن رمضان حسن جاب الله

تقـــــديم

بقلم الشيخ أحمد فريد

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

ثم أما بعد :

ونحن فى معترك الحياة الذى يموج بالشهوات والشبهات والجواذب الأرضية والفتن الدنيوية ، التى يخيل للناس فيها أن الحياة الدنيا هى الحيوان ، أن السعيد فى الدنيا من وصل فيها إلى الجاه والسلطان . ما أحوجنا أن نتذكر فى كل وقت وحين المصير الذى لا بد منه ، والمنزل الذى لا محيص عنه .

والمصير هو الموت كما قال تعالى ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ (الزمر : ٣٠)

والمنزل هو القبر كما قال تعالى ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ (المؤمنون : ١٠٠)

هذا تهديد بعذاب البرزخ .

والبرزخ هو المفصل بين شيئين ، والحياة البرزخية هى التى تفصل بين الحياة الدنيا والآخرة .

والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، كما اتفق على ذلك أهل السنة والجماعة .

فظواهر القبور تراب ، وبواطنها حسرات وعذاب ، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات ، وفى باطنها الدواهى والبليات .

نظر ابن مطيع إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى وقال : « **والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا** »

وقال الحسن البصرى : « **فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحاً ، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت ، إلا صغرت فى عينه الدنيا وهان عليه كل ما فيها** »

وهذا الكتاب الذى نقدم له والذى وفق الله عز وجل لتأليفه أخانا الفاضل رمضان حسن أرجو أن يكون من أنفع الكتب فى هذا الباب، وأسأل الله ـ عز وجل ـ أن لا يحرمنا ومصنفه وناشره وقارئه من الأجر والثواب، وأن يكون زاداً لنا حين يتخلى عنا الأهل والأحباب، بعد أن يواورنا التراب، وصلِّ اللهم على محمد والآل والأحباب .

تمهيد

اعلم رحمك الله تعالى :

أن الحياة مخلوقة . . والموت مخلوق . . خلقهما الله - تعالى - ليختبر الناس أيهم أحسن عملاً :

فمن يؤمن ، ومن يكفر .

ومن يحسن ، ومن يسيء .

ومن يختم له بالسعادة ، ومن يختم له بالشقاوة .

١ - قال الله - تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ . (الملك : ١ ، ٢)

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - تعالى :

« يمجد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك، أي هو المتصرف فى جميع المخلوقات بما يشاء ، لا معقب لحكمه ، ولا يُسأل عما يفعل ، لقهره وحكمته وعدله ، ولهذا قال - تعالى : **﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** (الملك : ١)

ثم قال - تعالى : **﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾** (الملك : ٢) .

واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودى ، لأنه مخلوق .

ومعنى الآية : أنه أوجد الخلائق من العدم : (ليبلوهم) أى يختبرهم[١] **﴿أيهم أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**

كما قال- تعالى: **﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾** (البقرة : ٢٨) .

فسمى الحال الأول وهو العدم موتاً ، وسمى هذه النشأة حياة ، ولهذا قال - تعالى :

---

(١) (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير (٤ / ٣٤٦) دار القلم / بيروت / لبنان .

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ . (البقرة : ٢٨)

وقوله - تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ : (الملك : ٢)

« شروع فى تفصيل بعض أحكام الملك ، وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة » (١)

« **والحياة** : ما يصح بوجوده الإحساس .

ومعنى خلق الموت : إيجاد المصحح وإعدامه .

والمعنى : خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون » (٢)

« **ومعتقد أهل السنة** : أنه أمر وجودى يضاد الحياة » (٣) يعنى الموت .

فاعلم أن :

الموت صفة وجودية ، خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم .

قال - تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (الملك : ٢) .

والعدم لا يوصف بكونه مخلوقاً » (٤)

فقوله - تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ . (الملك : ٢)

« قيل : المعنى خلقكم للموت والحياة .

يعنى للموت فى الدنيا ، والحياة فى الآخرة .

وقدم الموت على الحياة ، لأن الموت إلى القهر أقرب .

---

(١) «روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى» الألوسى (٢٩/ ٤) دار إحياء التراث العربى / بيروت.

(٢) « تفسير البحر المحيط » لأبى حيان الأندلسى (٨ / ٢٩٧) دار الفكر .

(٣) «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل» للزمخشرى (٤/ ٣٣) دار الفكر .

(٤) « شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية » لابن أبى العز الحنفى تحقيق أحمد محمد شاكر (٦٢) مكتبة دار التراث .

وقيل : قدمه لأنه أقدم ؛ لأن الأشياء في الابتداء كانت فى حكم الموت ، كالنقطة والتراب ونحوه . . . .

ــ وأيضاً ــ قدم الموت على الحياة ؛ لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نَصَبَ موته بين عينيه ، فَقُدِّمَ لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم [١]

قال العلماء :

الموت ليس بعدم محض ، ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدل حال ، وانتقال من دار إلى دار . والحياة عكس ذلك » [٢]

* وقوله ـ تعالى :

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (الملك : ٢) :

أى: «ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع» [٣]

وبالجملة :

فإنه ـ تعالى ـ خلق الموت والحياة ، والموت يشمل الموت السابق على الحياة ، والموت اللاحق لها . والحياة تشمل الحياة الأولى والحياة الآخرة . وكلها من خلق الله . كما تقرر هذه الآية التى تنشىء هذه الحقيقة فى التصور الإنسانى ، وتشير إلى جانبها اليقظة لما وراءها من قصد وابتلاء. فليست المسألة مصادفة بلا تدبير، وليست كذلك جزافاً بلا غاية ؛ إنما هو الابتلاء لإظهار المكنون فى علم الله من سلوك الأناسى على الأرض واستحقاقهم للجزاء على العمل :

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (الملك : ٢)

واستقرار هذه الحقيقة فى الضمير يدعه أبداً يقظاً حذراً ملتفتاً واعياً للصغيرة والكبيرة فى النية المستترة والعمل الظاهر ، ولا يدعه يغفل أو يلهو ، كذلك لا يدعه

---

(١) والغرض المسوق له الآية هو : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾

(٢) « الجامع لأحكام القرآن » القرطبى (١٨ / ٢٠٦)

(٣) « جامع البيان فى تفسير القرآن » الطبرى (٢٩ / ٢) دار المعرفة / بيروت .

يطمئن أو يستريح ، ومن ثم جاء التعقيب :

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ . (الملك : ٢)

ليسكب الطمأنينة فى القلب الذى يرعى الله ويخشاه ، فالله عزيز غالب ، ولكنه غفور مسامح .

فإذا استيقظ القلب وشعر أنه هنا للابتلاء والاختبار ، حذر وتوقى ؛ فإن له أن يطمئن إلى غفران الله ورحمته ، وأن يقر عندها ويستريح » . [١]

*** فائـدة :**

أخرج أبو نعيم فى « الحلية » بسنده عن إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل بن عياض فى قوله ـ تعالى :

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ . (الملك : ٢)

« قال : أخلصه وأصوبه ، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً .

والخالص : إذا كان لله .

والصواب : إذا كان على السنة » . [٢]

٢ ـ قال الله ـ تعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر : ٤٢)

« قال ـ تعالى ـ مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف فى الوجود بما يشاء ، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان .

(١) « فى ظلال القرآن » سيد قطب (٦ / ٣٦٣٢) دار الشروق .

(٢) « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى (٨ / ٩٥) دار الفكر .

كما قال ـ تبارك وتعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (الأنعام : ٦٠ ، ٦١)

فذكر الوفاتين : الصغرى والكبرى .

وفى هذه الآية ـ يعنى آية الزمر ـ ذكر الكبرى ثم الصغرى » .[1]

والمقصود بالوفاة الصغرى : النوم

والوفاة الكبرى : الموت .

ودليل هذا ، أن النبى ﷺ قال :

« النوم أخو الموت ، ولا ينام أهل الجنة » .[2]

« وقال ابن زيد :

النوم وفاة .

والموت وفاة . . . .

فإذاً يقبض الله الروح فى حالتين :

فى حالة النوم ، وحالة الموت .

فما قبضه فى حال النوم فمعناه أنه يغمره بما يحبسه من التصرف ، فكأنه شيء مقبوض .

وما قبضه فى حال الموت فهو يمسكه ، ولا يرسله إلى يوم القيامة .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٥١)

(٢) حديث صحيح : أخرجه البيهقى فى « شعب الإيمان » وانظر صحيح الجامع الصغير (٦٦٨٤) و «السلسلة الصحيحة » (١٠٨٧)

وقوله : ﴿ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ ﴾ (الزمر : ٤٢) (الزمر : ٤٢)

أى : يزيل الحابس عنه فيعود كما كان .

فتوفى الأنفس فى حال النوم : بإزالة الحس وخلق الغفلة والآفة فى محل الإدراك .

وتوفيها فى حالة الموت : بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية :

﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ (الزمر : ٤٢)

بألا يخلق فيها الإدراك ، كيف وقد خلق فيها الموت ؟

﴿ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ ﴾

بأن يعيد إليها الإحساس » [1]

« فالله يستوفى الآجال للأنفس التى تموت ، وهو يتوفاها كذلك فى منامها ـ وإن لم تمت بعد ـ ولكنها فى النوم متوفاة إلى حين :

فالتى حان أجلها يمسكها فلا تستيقظ .

والتى لم يحن أجلها بعد يرسلها فتصحو إلى أن يحن أجلها المسمى . فالأنفس فى قبضته دائماً فى صحوها ونومها .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2] (الزمر : ٤٢)

ولهذا كان من الآداب المتبعة فى الإسلام ما جاء عن النبى ﷺ فيما يقال من ذكر عند النوم والاستيقاظ .

فعن أبى هريرة ، رضى الله ـ تعالى ـ عنه ، قال : قال النبى ﷺ :

« إذا أوى أحدكم إلى فراشه :

فلينفض فراشه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه ، ثم يقول : باسمك ربِّ وضعت جنبى ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى ، فارحمها . وإن أرسلتها ،

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٥ / ٢٦٤) .

(٢) « فى ظلال القرآن » (٥ / ٣٠٥٥)

فاحفظها بما تحفظ به الصالحين » [1]

وعن البراء بن عازب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ ، قال :

« إذا أخذت مضجعك : فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن .

ثم قل : **اللهم إنى أسلمت وجهى إليك .**

وفوضت أمرى إليك .

وألجأت ظهرى إليك . رغبة ورهبة إليك .

لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك .

آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت .

فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة .

واجعلهن آخر ما تتكلم به » . [2]

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ :

« فى هذا الحديث ثلاث سنن مهمة مستحبة ليست بواجبة :

إحداها : الوضوء عند إرادة النوم ، فإن كان متوضئاً كفاه ذلك الوضوء ؛ لأن المقصود النوم على طهارة مخافة أن يموت فى ليله ، وليكون أصدق لرؤياه ، وأبعد من تلعب الشيطان به فى منامه وترويغه إياه .

الثانية : النوم على الشق الأيمن ؛ لأن النبى ﷺ كان يحب التيامن ، ولأنه أسرع إلى الانتباه .

الثالثة : ذكر الله ـ تعالى ـ ليكون خاتمة عمله . .

قوله ﷺ : « **مت على الفطرة** » :

أى الإسلام

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب الوضوء » « باب من بات على الوضوء » ومسلم فى «كتاب الذكر والدعاء » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب الدعوات » (باب ١٣) ومسلم فى « كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار »

وإن أصبحت أصبت خيراً ، أى حصل لك ثواب هذه السنن واهتمامك بالخير ومتابعتك أمر الله ورسوله ﷺ » (١)

وهذا ليس فقط من آداب النوم ، إنما كأنه أيضاً من آداب الموت ؛ إذ إنه إذا مات من ليلته هذه ، مات على الوضوء ، والسنة ، والذكر .

وأما عند الاستيقاظ :

* فعن البراء ، أن النبى ﷺ ، كان إذا أخذ مضجعه قال : « **اللهم باسمك أحيا ، وباسمك أموت** » وإذا استيقظ ، قال : « **الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** » (٢)

قوله ﷺ : « **الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** »

المراد بأماتنا : النوم

وأما النشور : فهو الإحياء للبعث يوم القيامة . فنبه ﷺ بإعادة اليقظة بعد النوم الذى هو كالموت على إثبات ابعث بعد الموت .

قال العلماء : وحكمة الدعاء عند إرادة النوم : أن تكون خاتمة أعماله وحكمته إذا أصبح : أن يكون أول عمله بذكر التوحيد والكلم الطيب » (٣)

٣ ـ عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال : مرت جنازة ، فقام لها رسول الله ﷺ ، وقمنا معه ، فقلنا : يارسول الله ، إنها يهودية فقال : « **إن الموت فزع.**

---

(١) « صحيح مسلم بشرح النووى » (١٧ / ٣٢ ، ٣٣) مكتبة الرياض الحديثة .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم .

(٣) « صحيح مسلم بشرح النووى » (١٧ / ٣٥)

فإذا رأيتم الجنازة فقوموا » [1]

ولسنا بصدد ما يتعلق بالشطر الثانى من الحديث من حيث حكم القيام عند رؤية الجنازة من حيث ثبوته أو نسخه .

ولكن هاهنا الكلام يكون على ما يتعلق بصفة الموت ، وأنه كما قال النبى ﷺ : « **إن الموت فزع** » .

« قال البيضاوى : مصدر وصِفَ به للمبالغة ، أو التقدير : ذو فزع ، أى خوف . . .

وفيه تنبه على أن تلك الحالة ينبغى لمن رآها أن يقلل الأمل من أجلها ويضطرب ولا يظهر منه عدم الاحتفال والمبالاة » [2] .

* موعظة :

« تنبه أيها الشاب لاغتنام العمل ، تيقظ أيها الكهل قبل خيبة الأمل ، بادر أيها الشيخ فكأن قد قيل ورحل ، كأنك بالمرض قد ألقاك صريعاً ، وبالندم قد أبكاك نجيعا ، وبالأسف قد ضربك ضرباً وجيعاً ، وبملك الموت قد أقبل إليك سريعاً ، والجبين من العرق يسفح ، والطرف من الفَرَق [3] يسفح ، والروح فى القلق يسبح ، وأنت تبسط كفا وتقبض كفاً ، والملك يكفك عن التصرف كفاً ، وسفينة الحسرات فى موج العبرات تتكفأ ، ثم يرمى بك فى جانب اللحد وتخفى ، وتلقى ما على الله لا يخفى ، فتبقى فى تلك الحفرة كالمأسور ، تمضى عليك الأزمان والعصور ، إلى أن ينفخ فى الصور ، هذا وقد سمعت عذاب القبور ، ثم تقوم نادماً يوم النشور ، والأرض تزلزل والسماء تمور ، والجلود تشهد والنار تفور ، والأسف شديد ،

---

(1) « حديث صحيح : أخرجه مسلم فى « كتاب الجنائز » « باب القيام للجنازة » .

(2) « فيض القدير شرح الجامع الصغير » للعلامة المناوى (٢ / ٣٩٦ ، ٣٩٧) دار المعرفة / بيروت .

(3) الفرق : أى الفزع .

والكتاب منشور ، والسؤال دقيق ولست بمعذور ، والحساب قد فصل وحصل ما فى الصدور والصراط ، عجيب لا يشبه الجسور ، وقد ذل وقل الجسور ، فيا له من يوم أهونه صعق موسى ودك الطور »[1]

(١) « رؤوس القوارير » ابن الجوزى / تحقيق محمد نبيل سنبل (١٥٤) دار الصحابة للتراث بطنطا



الباب الأول :
أحوال الموتى فى الكتاب والسنة

(١) ذكر الموت ..

(٢) النهى عن تمنى الموت والدعاء به ..

(٣) لا فوت من الموت ..

(٤) الموت غيب ..

(٥) رسل الموت ..

(٦) سكرات الموت ..

(٧) حال المؤمن وحال الكافر فى الموت ..

(٨) حسن الخاتمة .. وسوء الخاتمة ..

(٩) الموت فى الآخرة ..

لما كان :

الموت مخلوقاً . .

وواقع لا محالة بالناس .

وغير مردود عنهم ولا مصروف . .

شُرِعَ للمسلمين ذكر الموت . .

وذلك لما فيه من الإعانة على إقامة الدين . .

وإيقاظ الهمم إلى الفضائل . .

والوقوف على مرضاة الله ـ تعالى . .

*** فأما القرآن الكريم :**

فليس فيه ثمة آية تأمر وتدعو إلى ذكر الموت صراحة ، غير أن آياته المتضافرة فى ذكر الموت وأحواله القائمة به مؤذنة بذلك . .

وكل سيأتى فى بابه ـ إن شاء الله تعالى . .

*** وأما السنة :**

فمن صحيحها :

عن أبى هريرة ، رضي الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« **أكثروا ذكر هاذم اللذات : الموت** » [1]

« قال الطيبى : شبه اللذات الفانية ، والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة ، ثم أمر المنهمك فيهـا بذكر الهاذم ؛ لئلا يستمر على الركون إليها ويشتغل عما عليه من التردد إلى دار القرار .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، وانظر « صحيح الجامع » (١٢٢١)

وفيه ـ أي الحديث ـ ندب ذكر الموت بل أكثريته ؛ لأنه أزجر للمعصية ، وأدعى للطاعة » [١]

فلما كان الناس يعتريهم النسيان والغفلة، وذلك بالدعة والسكون إلى ما ربهم من رخاء ونعمة ، ولما كان يعتريهم أيضاً الضجر والجزع مما بهم من مصائب وبلايا : نُدبوا إلى ذكر الموت ؛ وذلك لئلا يضيع أكثر دينهم ؛ إذ الموت يذكر بالقبر وما فيه ، وبالبعث والورود على الله ـ تعالى ـ ..

وإما الجنة .. أو النار

* **وعن زيد بن أرقم ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، قال :**

« اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . واحسب نفسك مع الموتى . واتق دعوة المظلوم ؛ فإنها مستجابة » [٢]

* **وعن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، قال :**

« اعبد الله ولا تشرك به شيئاً .

واعمل لله كأنك تراه .

واعدد نفسك في الموتى

واذكر الله تعالى عند كل حجر وكل شجر .

وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية » [٣]

في هذين الحديثين الندب إلى ذكر الموت ، بل وفيهما شيء زائد على ذكر الموت ، وهو قوله :

---

(١) « فيض القدير » (٢/ ٨٤)

(٢) حديث حسن : أخرجه أبونعيم في « الحلية » وانظر « صحيح الجامع » (١٠٤٨) والسلسلة الصحيحة » (١٤٧٥)

(٣) حديث حسن : أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » والبيهقي في « الشعب » وانظر « صحيح الجامع » (١٠٥١) و « السلسلة الصحيحة » (١٤٧٥) .

« واحسب نفسك مع الموتى »

« واعدد نفسك فى الموتى »

أى « وترحل عن الدنيا حتى تنزل بالآخرة ، وتحل فيـها حتى تبقى من أهلها وأنك جئت إلى هذه الدار كغريب ، يأخذ منها حاجته ويعود إلى الوطن الذى هو القبر .

وقد قـال على ـ كرم الله وجهـه : إن الدنيا قـد ترحلت مدبـرة ، والآخرة ترحلت مقبلة ، ولكل منهـما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل . أ هـ .

فكأنك بالموت وقد سقـاك كأسه على غفلة فـصرت من عسكر الموت ، فنزِّل نفسك منزلة من قضى نحبه ، واترك الحرص ، واغتنم العمل ، وقصِّر الأمل .

ومن تصور نفسه لا يعـيش غداً لا يهتم له ولا يسعى لكفايته ، فيـصير حراً من رق الحرص والطمع والذل لأهل الدنيا .

قال ابن الجوزى : إذا رأيت قبراً فتوهمه قبرك ، وعد باقى الحياة ربحاً » [1]

*** تنبيـــه :**

ينبـغـى أن يُعلم أن ذكـــر الموت ليس داعـيـاً إلى القـعـود والكسل عن آداء الحقوق ، بل هو أدعى إلى القيام بها على أكـمل وجه ، وأن مقصوده ترك الحرص ونبـذ الطمع ، وتـرويض النفس علـى مـا يحل بها من النقـيضـين : الـــرخاء . . والبلاء . فـلا يفرح بدنيا أصابها ويركن إليها فينسى شكر النعم ، ولا يجزع على ما أصابه فيها .

*** وعن أنس رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :**

« اذكر الموت فى صـلاتك ؛ فإن الرجل إذا ذكـر الموت فى صلاته لحـرى أن يحسن صلاته وصلِّ صلاة رجل لا يظن أن يصلى صلاة غيرها . وإياك وكل أمر يُعتذر منه » [2]

---

(١) « فيض القدير » (١/ ٥٥٠) .

(٢) حديث حسن: أخرجه الديلمى فى «مسند الفردوس» وانظر «صحيح الجامع» (٨٦٢) و «السلسلة» (١٤٢١) .

وها هنا ثمة فائدة من فوائد ذكر الموت ، وهى : « **فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحرى أن يحسن صلاته** » :

وذلك أن الرجل إذا فعل هذا ـ أى ذكر الموت فى الصلاة ـ أعطاها حظها من الطمأنينة والخشوع والخضوع .

* **وعن أبى هريرة ، ﷺ ، أن النبى ﷺ ، قال :**

« **أكثروا ذكـر هاذم اللذات : الموت ؛ فإنه لم يذكره أحد فى ضـيق من العيش إلا وسعه عليه . ولا ذكره فى سعة إلا ضيقها عليه** » [1]

« قال العسكرى : لو فكر البلغاء فى قول المصطفى ﷺ ذلك ، لعلموا أنه أتى بهذا القليل على كل ما قيل فى ذكر الموت ووصف به نظماً ونثراً » [2]

وقال القرطبى : « ذكر الموت يورث استشـعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه فى كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية .

ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتى : ضيق وسعة ونعمة ومحنة :

فإن كان فى حال ضيق ومحنة : فذكـر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه ؛ فإنه لا يدوم ، والموت أصعب منه .

أو فى حال نعمة وسعة : فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والسكون إليها ؛ لقطعه عنها .

ولقد أحسن من قال :

اذكر الموت هاذم اللذات .. وتجهز لمصرع سوف يأتى .

وقال غيره :

واذكر الموت تجد راحة .. فى ادكار الموت تقصير الأمل » [3]

---

(١) حديث حسن : أخرجه البيهقى فى « الشعب » وابن حبان فى « صحيحه » وانظر « صحيح الجامع » (١٢٢٢) .

(٢) « فيض القدير » (٢/ ٨٦) باختصار .

(٣) « التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة » القرطبى (٩) المكتبة التوفيقية .

* **من كلام السلف فى ذكر الموت :**

- « قال مجمع التيمى : ذكر الموت غنى » [1]

- وقال الحسن : « **إن هذا الموت فضح الدنيا ، ولم يدع لذى لب فرحاً . يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة** » [2]

- وقال شميط بن عجلان : « **من جعل الموت نصب عينيه ، لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها** » [3]

- وقال بشر بن الحارث : « **إذا اهتممت لغلاء السعر ، فاذكر الموت ؛ فإنه يذهب عنك هم الغلاء** » [4]

- وقال كعب الأحبار : « **من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها** » [5]

- وقال أبوعمرو الأوزاعى : « **من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير** » [6]

- وقال ثابت البنانى : « **ما أكثر أحد ذكر الموت إلا رؤى ذلك فى عمله** » [7]

- وقال الربيع بن أبى راشد : « **لو فارق ذكر الموت قلبى لخشيت أن يفسد . ولولا أن أخالف من كان قبلى لسكنت الجبانة حتى أموت** » [8]

وقال ذو النون المصرى : « **توسدوا الموت إذا نمتم . واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم** ».

---

(١) « حلية الأولياء » (٥/ ٩٠) .

(٢) « كتاب الزهد الكبير » للبيهقى / تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر (٢١٧) مؤسسة الكتب الثقافية .

(٣) « الحلية » (٣/ ١٢٩) .

(٤) « الحلية » (٨/ ٣٤٧) .

(٥) « الحلية » (٦/ ٤٤) .

(٦) « الحلية » (٦/ ١٤٣) .

(٧) « الحلية » (٢/ ٣٢٥) .

(٨) « الزهد الكبير » (٢٦١) .

« **كونوا كأنكم لا حاجة بكم إلى الدنيا ، ولا بد لكم من الآخرة** » (١)

وقال شقيق البلخي : « **استعد إذا جاءك الموت أن لا تسأل الرجعة** » (٢)

وقال مطرف بن عبدالله : « **إن هذا الموت أفسد على أهل النعيم نعيمهم ، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه** » (٣)

وكان حاتم الأصم يقول : « ما من صباح إلا والشيطان يقول لى : ما تأكل ، وما تلبس ، وما تسكن ؟ فأقول : آكل الموت ، وألبس الكفن ، وأسكن القبر » (٤)

يقصد أنه يكون ذاكراً دائماً لهذه الثلاثة .

* **أصناف الناس فى ذكر الموت :**

اعلم أن :

المنهمك فى الدنيا المكبَّ فى غرورها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، وإن ذكره كرهه ونفر منه .

ثم الناس إما : منهمك ، أو تائب مبتدئ ، أو عارف منتبه .

* **فأما المنهمك :** فلا يذكره ، وإن ذكره فيذكره لتأسف على دنياه ، ويشتغل بذمه ، وهذا لا يزيده ذكر الموت من الله ـ تعالى ـ إلا بُعْداً .

* **وأما التائب :** فإنه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية ، فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة أن يختطفه قبل تمامها أو قبل إصلاح الزاد ، وهو معذور فى كراهة الموت ، ولا يدخل بهذا تحت قوله ﷺ :

---

(١) « الزهد الكبير » (٢٦١) .

(٢) « الزهد الكبير » (٢١١)

(٣) « الحلية » (٢/٢٠٤) .

(٤) « الزهد الكبير » (٢١١) .

« من كره لقاء الله كره الله لقاءه » [1]

فإنه إنما يخاف الله لقصوره وتقصيره ، فهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه ، فلا يعد كارهاً للقائه ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له ، لا شغل له سواه ، وإلا التحق بالمنهمك فى الدنيا .

* وأما العارف : فإنه يذكر الموت دائماً ؛ لأنه على موعد لقاء الحبيب ، وهو لا ينسى موعد لقاء حبيبه . وهذا فى غالب الأمر يستبطئ مجىء الموت ، ويحبه ليتخلص من دار العاصين، وينتقل إلى جوار رب العالمين ، كما قال بعضهم: حبيب جاء على فاقة .

ـ فإذن التائب معذور فى كراهة الموت .

ـ وهذا ـ العارف ـ معذور فى حب الموت ، وتمنيه .

ـ وأعلى منهما من فوض أمره إلى الله ـ تعالى ـ فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياة ، بل تكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه ، فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضى ، وهو الغاية والمنتهى .

وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل ؛ فإن المنهمك فى الدنيا قد يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا ؛ لأن ذكره ينغص عليه نعيمه ويكدره » [2]

*** حال السلف عند ذكر الموت :**

وأما حالهم فى الموت ، فعجباً لذى الحال ؛ فإنه حال يستدمع العيون ويستذرف الدموع . .

ـ قال الحسن البصرى : « **يحق لمن يعلم أن الموت مورده .. وأن الساعة موعده . وأن القيام بين يدى الله ـ تعالى ـ مشهده : أن يطول حزنه** » [3]

---

(١) جزء من حديث صحيح : أخرجه البخارى .

(٢) « مختصر منهاج القاصدين «لابن قدامة المقدسى » علق عليه شعيب وعبد القادر الأرنؤوط (٣٨٢، ٣٨٣) . مكتبة دار البيان .

(٣) «الحلية» (٢/ ١٣٣) .

ـ وقال الربيع بن أبى راشد : « **لولا ما يأمل المؤمنون من كرامة الله ـ تعالى ـ لهم بعد الموت ، لانشقت مرائرهم ، ولتقطعت فى الدنيا أجوافهم** » (١)

وقال عمر بن الخطاب ـ ﵁ ـ لكعب الأحبار :

« **أخبرنى عن الموت ؟**

قال : يا أمير المؤمنين ، هو مثل شجرة كثيرة الشوك فى جوف ابن آدم ، فليس منه عرق ولا مفصل إلا فيه شوكة ، ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينزعها .

فأرسل عمر لله دموعه » (٢)

ـ وقال « قال الربيع بن أبى راشد ـ ورأى رجلاً مريضاً يتصدق بصدقة يقسمها بين جيرانه : **الهدايا أمام الزيادة . فلم يلبث الرجل إلا أياماً حتى مات فبكى عند ذلك الربيع وقال : أحسَّ و الله بالموت ، وعلم أنه لا ينفعه من ماله إلا ما قدم بين يديه** » (٣)

ـ و « كان عبد العزيز بن سلمان إذا ذكر القيامة والموت صرخ كما تصرخ الثكلى ، ويصرخ الخائفون من جوانب المسجد . .

وربما رُفِعَ الميت والميتان من جوانب مجلسه » (٤)

ـ و « كان سفيان الثورى إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً . فإذا سُئل عن الشىء ، قال : لا أدرى . لا أدرى » (٥) .

ـ وقال قبيصة : « **ما جلست مع سفيان ـ يعنى الثورى ـ مجلساً إلا ذكر فيه الموت ، وما رأيت أحداً كان أكثر ذكراً للموت منه** » (٦)

---

(١) « الحلية » (٥/٧٦) .

(٢) « الحلية » (٦/٤٤) .

(٣) « الحلية » (٥/٧٧) .

(٤) « الحلية » (٦/٢٤٣) .

(٥) « الحلية » (٦/٣٨٧) .

(٦) « الزهد الكبير » (١١٩) .

ـ وقال إبراهيم بن الأشعث : « **كنا إذا خرجنا مع الفضيل فى جنازة ، لا يزال يعظ ويذكِّر ويبكى ، حتى لكأنه يودع أصحابه ، ذاهب إلى الآخرة ، حتى يبلغ المقابر فيجلس ، فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم ، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها** » (١)

ـ وقال بشر بن الحارث : « **كان ابن سيرين إذا ذُكِر الموت عنده مات كل عضو منه** » (٢)

ـ وقيل لأبى الفيض ذى النون : « كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت تعباً إن نفعنى تعبى ، والموت يجد فى طلبى » (٣)

ـ وقال عمران بن خالد الخزاعى : « **رأيت حسان بن أبى سنان ، وحوشب التقيا ، فقال حوشب لحسان : كيف أنت يا أبا عبد الله ، كيف حالك ؟ قال : ما حال من يموت ، ثم يبعث ، ثم يحاسب** » (٤)

*** وبالجملة :**

« إذا تذكر العبد الموت ، وكان منه على رصد ؛ إذ هو له بالمرصاد : انقطع أمله ، وهانت عليه لذاته ، ولم يكن للدنيا قدر عنده ؛ إذ ليس بالحقيقة من قطانها، وإنما هو ينزل نفسه بمنزلة الميت فى كل حين من أحيانها ، فيعرض عن الدنيا ويقبل على الآخرة ، ويزهق الشيطان عنه ، ويلزمه الملك » (٥)

(١) « الحلية » (٨/ ٨٤) .

(٢) « الزهد الكبير » (٢١٨) .

(٣) « الحلية » (٩/ ٣٥١) .

(٤) « الزهد الكبير » (٢٢٠) .

(٥) « عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى » لابن العربى المالكي (٩/ ١٨٦) دار الكتب العلمية / بيروت .

• موعظـــــة :

« وصال الدنيا مقرون بالشتات

والأغراض الشائعة سائقة إلى الممات .

والأعراض فيها أغراض السهام النائبات .

وغرور الهوى يقتنص بحبائل الشهوات .

ويكفيكم عظة سلب الآباء والأمهات .

فاجعلوا الفكر فى دجنات الهوى مصباحاً .

واذكروا هاذم اللذات مساءً وصباحاً .

وتفكروا فى بلى وجوهكن صباحا .

فقد أفصحت الغير بالعبر إفصاحاً .

إخوانى : كيف يغتر من تعد أنفاسه .

وكيف يقر من قد قرب اختلاسه .

فنيت و الله الأيام ، ولكن بخطايا وآثام .

وكأن قد نزل بكم الحِمَامُ فأخرجكم عن الأيامى والأيتام .

أول ما يلقاكم عند حلول القبر الندامة .

وآخر ما ترون عند القيام القيامة .

فرحم الله عبداً علم أن الدنيا دار غرور .

ففارق ما رافق فيها من الشرور .

واختار حَزَنَ الحزن [١] على سهل السرور .

ولاحظ قرب الآخرة :

فصاحب الصور قد التقم الصور » [٢]

---

(١) يعنى الصعب .

(٢) «رؤوس القوارير» لابن الجوزى / تحقيق محمد إبراهيم سنبل (١٥٥) دار الصحابة للتراث بطنطا .

* عن حارثة بن مُـضَرِّب ، قال : أتبنا خـبَّاباً نعوده ، فـقال : لقد طال سـقمى ، ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول :

« **لا تتمنوا الموت** » . لتمنيته . . » [١]

* وعن أنس ، قال : لولا أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يتمنـين أحدكم الموت** لتمنيته » [٢]

* وعن أبى هريرة ﷺ : قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يتمنَّ أحدكم الموت ، ولا يدع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات انقطع عمله ، إنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً** » [٣]

* وعن أبى هريرة ﷺ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **لن يدخل أحداً عملُه الجنة** »

قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟

قال : « **ولا أنـا ، إلا أن يتغمدنـى الله بفضـل ورحمـة . فـسددوا وقاربـوا ، ولا يتمـن أحدكم الموت : إمـا محسناً فـلعله أن يزداد خيـراً . وإما مسيـئاً فلعله أن يستعتب** » [٤]

---

(١) حديث صحيح : أخرجه ابن ماجة ، وانظر « صحيح الجامع » حديث (٧٠٩٨)

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم فى « كتاب الذكـر والدعاء والتوبة والاستغـفار » « باب كراهة تمنى الموت لضر نزل به » .

(٣) حديث صحيح : أخرجه مسلم فى « نفس المصدر »

(٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب المرضى » « باب تمنى المريض الموت » (٥٦٧٣) .

* وعن أبى هريرة ، ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« **والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ، ويقول : يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر . وليس به الدِّين إلا البلاء** » [١]

* وعنه ، عن النبى ﷺ ، قال :

« **لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : ياليتنى مكانه** » [٢]

* وعن أنس، ﷺ ، أن النبى ﷺ قال : « **لايتمن أحد منكم الموت لضر نزل به. فإن كان لا بد متمنياً للموت ، فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى** » [٣]

هذه الأحاديث الثابتة الصحيحة ، فيها عدة فوائد ، منها :

* التصريح بكراهة تمنى الرجل الموت إذا نزل به ضر ، نحو مرض ، أو محنة ، أو فاقة ، أو أى شىء من مشاق الدنيا ، ووقوف الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على هذا النهى وعدم تعديه ، كما جاء فى قول خباب بن الأرت ، وأنس بن مالك رضى الله عنهما .

* بيان الحكمة من الإمساك عن تمنى الموت عند نزول الضر ، وهو ما جاء فى قول النبى ﷺ :

ـ « **وإنه لا يزيد المؤمن عمرُه إلا خيراً** » .

« فإن الحياة يتسبب منها العمل ، وبالعمل يحصل زيادة الثواب ، ولو لم

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم فى « كتاب الفتن وأشراط الساعة » باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل . . . . » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب الفتن » « باب لاتقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور » ومسلم فى « كتاب الفتن وأشرط الساعة » .

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى ومسلم .

يكن إلا استمرار التوحيد ، فهو أفضل الأعمال » [1]

ـ وقوله ﷺ :

« إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً .

وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب »

أى : « إما إذا كان محسناً ، فلا يتمناه ؛ فلعله يزداد إحساناً على إحسانه فيضاعف ثوابه .

وإما أن يكون مسيئاً فلا يتمناه ، فلعله يندم على إساءته ويطلب الرضا ، فيكون سبباً لمحو ذنوبه » [2]

* وفيها أيضاً : أن تمنى الموت عند نزول الضر من أشراط الساعة .

« قال القرطبى : كأن فى الحديث إشارة إلى أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى فى أمر الدين ويقل الاعتناء بأمره ، ولايبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاش نفسه وما يتعلق به ومن ثم عظم قدر العبادة أيام الفتنة ، كما أخرج مسلم من حديث معقل بن يسار رفعه : « **العبادة فى الهرج كهجرة إلىَّ** » [3]

« وقد قال ابن مسعود : سيأتى عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه .

وعليه قوله :

وهذا العيش ما لا خير فيه :. **ألا موت يُباع فأشتريه** » [4]

* وفيها : جواز تمنى الموت عند خوف الفتنة ؛ فإن النهى عن تمنى الموت إنما هو مقيد بمن تمناه لنزول الضر والمشاق الدنيوية به .

وقد تمناه بعض السلف عند خوفهم الفتن :

ـ قال حماد بن سلمة : « كان سفيان الثورى عندنا بالبصرة ، وكان كثيراً ما

---

(1) « فتح البارى بشرح صحيح البخارى » للحافظ ابن حجر (١٠ / ١٣٠) المطبعة السلفية ومكتبتها .

(2) « فيض القدير » (٦ / ٤٤٥) .

(3) « فتح البارى » (١٣ / ٧٥) .

(4) « فيض القدير » (٦ / ٤١٨) .

يقول : ليتنى قد مت ، ليتنى قد استرحت ، ليتنى فى قبرى . فقال له حماد بن سلمة : يا أبا عبد الله ، ماك ثرة تمنيك الموت ؟ والله لقد آتاك القرآن والعلم . فقال سفيان : يا أبا سلمة ، ربما يدرينى ، لعلى أدخل فى بدعة ، لعلى أدخل فيما لا يحل لى ، لعلى أدخل فى فتنة ، أكون قد مت ، فسبقت هذا » [1]

* وقال أبو بلج عن عمرو بن ميمون : « أنه كان لا يتمنى الموت . حتى أرسل إليه يزيد بن مسلم ، فتعنته ، ولقى منه شدة ، ولم يكد أن يدعه ، ثم تركه بعد ذلك . قال : فكان يقول : اليوم أتمنى الموت ، اللهم ألحقنى بالأبرار . ولا تخلفنى مع الأشرار ، واسقنى من خير الأنهار » [2]

ـ وقال صالح المرى : قال لى عطاء ـ يعنى عطاء السليمى : « يأبا بشر ، أشتهى الموت ولا أرى لى فيه راحة ، غير أنى قد علمت أن الميت قد حيل بينه وبين الأعمال فاستراح من أن يعمل بمعصية فيحبط على نفسه ، والحى فى كل يوم هو من نفسه على وجل ، وآخر ذلك : الموت » [3]

* وفى الأحاديث السابقة أيضاً : بيان الصيغة المستحسنة المؤدبة فى الدعاء عند نزول الضر والبلاء والمرض بالعبد : « **فإن كان لابد متمنياً للموت ، فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى . وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى** »

فهذا فيه أدب مع الله ـ تعالى ـ فى دعائه . وفيه أيضاً رضاً وتسليم لله ـ تبارك وتعالى .

---

(١) « الزهد الكبير » (٢١٩ ، ٢٢٠) .

(٢) « الحلية » (٤ / ١٤٨) .

(٣) « الحلية » (٦ / ٢٢٣) .

فلا مفر من الموت .

ولا استثناء في الموت .

ولا خلاص ولا نجاة من الموت .

« قال الشيخ الإمام ـ أبو الطيب سهل بن محمد :

الموت كسوف قمر الحياة ، وخسوف شمسها . وهو ليوْم الحياة مساء ، والمحسن والمسيء فيه سواء .

وهو منتهى راحة قوم ومبتدأ عذابهم .

ومبتدأ راحة قوم ومنتهى عذابهم .

والموت بين الدنيا والآخرة جسر عليه لكل أحد معبر .

والموت وإن كان للحياة الفانية آخراً .

فهو للحياة الباقية أولاً وصدراً » (١)

وقال أمية بن أبي الصلت :

« يوشك من فر من منيته :. في بعض غراته يوافقها

من لم يمت عبطة يمت هرماً :. للموت كأس والمرء ذائقها » (٢)

وقال أبو نواس :

« ألا يابن الذين فنوا وماتوا :. أما والله ما ماتوا لتبقى » (٣)

---

(١) « الزهد الكبير » (٢٢٨)

(٢) « العقد الفريد » لابن عبد ربه / تحقيق د / عبد المجيد الترحيبي (٣ / ١٣٧) دار الكتب العلمية / بيروت .

(٣) « فيض القدير » (٢ / ٨٦) .

* قال الله ـ تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾

(آل عمران : ١٤٥)

قال الإمام القرطبى ـ رحمه الله تعالى :

ـ « هذا حض على الجهاد .

ـ وإعلام أن الموت لا بد منه .

ـ وأن كل إنسان مقتول أو غير مقتول ميت إذا بلغ أجله المكتوب له ؛ لأن معنى : « مؤجلاً » : إلى أجل .

ومعنى « بإذن الله » : بقضاء الله وقدره .

« كتاباً » نصب على المصدر ، أى كتب الله كتاباً مؤجلاً .

وأجل الموت : هو الوقت الذى فى معلومه ـ سبحانه ـ أن روح الحى تفارق جسده .

ومتى قتل العبد علمنا أن ذلك أجله ، ولايصح أن يقال : لو لم يقتل لعاش، والدليل على قوله :

﴿ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾ (آل عمران : ١٤٥)

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٤)

﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ ﴾ (العنكبوت : ٥)

﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ . [١] (الرعد : ٣٨)

* وقال تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

(المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠)

---

(١) « تفسير القرطبى (٤ / ٢٢٦ ، ٢٢٧)

« ﴿ كلا ﴾ :

هذه كلمة ردع . أى ليس الأمر على مـا يظنه من أنه يجاب إلى الرجوع إلى الدنيا ، بل هو كلام يطيح فى أدراج الريح . . . .

وقيل : ﴿ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ (المؤمنون : ١٠٠)

عند الموت ، ولكن لا تنفع » [١]

فلا فوت ولا مفر من الموت .

فكان كما قيل : استعد إذا جاءك الموت أن لا تسأل الرجعة .

* وقال ـ تعالى :

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ . (الواقعة ، ٦٠:٦١)

« أى : نحن صرفناه بينكم » [٢]

قال الطبرى ـ رحمه الله تعالى ـ :

« يقـول ـ تعالى ذكـره : « نحن قـدرنا بينكم أيهـا الناس الموت ، فجـعلناه لبعض ، وأخرناه عن بعض إلى أجل مسمى » . [٣]

فلا فوت من الموت . . .

* وقال ـ تعالى :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون : ١٢:١٦)

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٢ / ١٥٠)

(٢) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٢٥٩)

(٣) « تفسير الطبرى » (٢٧ / ١١٣)

أخبر الله ـ جل وعلا ـ فى هذه الآيات عن المراحل التى مر بها الإنسان فى تكوينه وخلقه .

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون : ١٤)

فهو الله ـ سبحانه وتعالى :

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ (السجدة : ١٥)

وأخبر الله ـ تعالى ـ أن الإنسان بعد ذلك لا محالة ميت، فقال تبارك وتعالى :

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٥)

« أى : لصائرون إلى الموت لامحالة . . . .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٦)

من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب » [(١)]

* قال ـ تعالى :

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾

(النساء : ٧٨)

« أى أنتم صائرون إلى الموت لامحالة ، ولاينجو منه أحد منكم . . . . والمقصود : أن كل أحد صائر إلى الموت لامحالة ، ولاينجيه من ذلك شيء ، سواء جاهد أو لم يجاهد ؛ فإن له أجلاً محتوماً ، ومقاماً مقسوماً » [(٢)]

« واختلف العلماء وأهل التأويل فى المراد بهذه البروج ، فقال الأكثر وهو الأصح : إنه أراد البروج فى الحصون التى فى الأرض المبنية ؛ لأنها غاية البشر فى التحصين والمنعة ، فمثل الله لهم بها » [(٣)]

---

(١) « روح المعانى » للألوسى (١٨ / ١٧) باختصار .

(٢) « تفسير ابن كثير » (١ / ٤٥٢)

(٣) « تفسير القرطبى » (٥ / ٢٨٢) .

والمعنى أن الله ـ عز وجل ـ أَعلَمَ أن الموت لا محالة واقع بالناس ، وأنه : لا حاجز يحجزه عنهم ، أو يحجزهم عنه .

ولامانع يمنعه عنهم ، أو يمنعهم عنه .

اللهم إلا الله وحده هو الذى يملك هذا ، ولكنه ـ تعالى ـ أخبر بوقوع الموت حتى أنه ـ تعالى ـ قال لنبيه ﷺ :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر : ٣٠)

قال قتادة : نعيت إلى النبى ﷺ نفسه ، ونُعيتُ إليكم أنفسكم .

وقال ثابت البنانى: نعى رجل إلى صلة بن أشيم أخاً له فوافقه يأكل، فقال: ادن فكل فقد نُعى إلىّ أخى منذ حين. قال: كيف وأنا أول من أتاك بالخبر ؟ قال : قال الله ـ عز وجل :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ . (الزمر : ٣٠)

وهو خطاب للنبى ﷺ ، أخبره بموته وموتهم ، فاحتمل خمسة أوجه :

أحدها : أن يكون ذلك تحذيراً من الآخرة .

الثانى : أن يذكره حثاً على العمل .

الثالث : أن يذكره توطئة للموت .

الرابع : لئلا يختلفوا فى موته كما اختلفت الأمم فى غيره ، حتى أن عمر ـ رضى الله عنه ـ لما أنكر موته احتج أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بهذه الآية فأمسك .

الخامس : ليعلمه أن الله ـ تعالى ـ قد سوّى فيه بين خلقه مع تفاضلهم فى غيره ؛ لتكثر فيه السلوة ، وتقل فيه الحسرة » [(١)]

١ ـ وقال ـ تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

(آل عمران : ١٨٥)

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٥ / ٢٥٤)

٢ - قال تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

(الأنبياء : ٣٤ : ٣٥)

٣ - قال تعالى :

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

(العنكبوت : ٥٦ ، ٥٧)

هذه الآية تكرر ذكرها فى القرآن الكريم نحو ثلاث مرات ، كما هو ظاهر

والمعنى : أن الموت « نازل بها لا محالة ، فكأنها ذائقته ، وهو وعد ووعيد : للمصدق والمكذب ، وفيه تأكد للتسلية له ﷺ لأن تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الهموم والأشجان الدنيوية » [1]

فهذا إخبار عام يشمل كل الخلائق ، ويعلمهم بأن الموت واقع بهم لا محالة

فلا محيص عنه لإنسان .

ولا محيد عنه لحيوان .

بل هو نازل بالخلائق أجمعين :

فيموت كل صغير وكبير ، ويموت كل عزيز وحقير ، ويموت كل غنى وفقير ، ويموت كل نبى وولى . ويموت الملائكة ، ويموت الجن ، ويموت كل حيوان وطائر .

ليس باقى إلا الله - تعالى - فهو الحى الذى لا يموت .

وأما عن تكرار الآية :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (الأنبياء : ٣٥) على هذا الوجه ، فسببه واضح وجلى .

---

(١) « روح المعانى » (٤ / ١٤٥ ، ١٤٦) .

* فالآية الأولى : والتى ذُكرت فى « سورة آل عمران »

فيهـا الإخبار العام الـذى يشمل كل المخلوقات بحلول الموت بها لامـحالة ، ومن ثم إيفاء كل نفس فى الآخـرة بما عملت فى الدنيا ، فـيكون أجر المؤمن ثواب الله ـ تعالى ـ ورضاه ، ويكون أجر الكافر عقاب الله ـ تعالى ـ وسخطه .

وبيّن أيضاً فى الآية شأن الدنيا :

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران : ١٨٥)

* والآية الثانية : والتى موضعها فى « سورة الأنبياء » :

فهى مـسبوقة بإخـباره ـ تعالى ـ لنبـيه ﷺ بأنه ليس لنفس مما سبق ومما هو لاحق الخلد مطلقاً ، وذلك فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ .(الأنبياء: ٣٤)

وهذا إنكار لحقه إخبار بعموم الموت لكل الخلائق ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (الأنبياء : ٣٥) وبيَّن لهم أنهم فى حياتهم وحـتى يموتوا إنما هم فى محل الاختبار بالشدة والرخاء ، والحلال والحرام ، فقال ـ تعالى :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (الأنبياء : ٣٥)

* والآيـة الثالثة : فى « سـورة العنكبـوت » قال القرطبى ـ رحمه الله تعالى :

« وإنما ذكره ها هنا تحقيراً لأمر الدنيا ومخـاوفها . كأن بعض المؤمنين نظر فى عاقبة تلحقه فى خروجه من وطنه من مكة أنه يموت أو يجـوع ، أو نحو هذا ، فحقّر الله شأن الدنيـا ، أى أنتم لا محـالة ميتـون ومحشـورون إلينا ، فالبـدار إلى طاعة الله والهجرة إليه وإلى ما يمتثل » [1]

* وقال ـ تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن : ٢٦ : ٢٨)

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٣ / ٣٥٨)

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى :

« يخبر ـ تعالى ـ أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون . وكذلك أهل السموات ، إلا من شاء الله . ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم ؛ إن الرب ـ تعالى وتقدس ـ لا يموت ، بل هو الحى الذى لا يموت أبداً .

قال قتادة : أنبأ بما خلق .

ثم أنبأ أن ذلك كله فانٍ » (١)

وقوله ـ تعالى :

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن : ٢٨)

أى : فبأى نعم الله ـ تعالى ـ تكذبان يا معشر الثقلين من الجن والإنس .

« ووجه النعمة فى فناء الخلق :

التسوية بينهم فى الموت ، ومع الموت تستوى الأقدام .

وقيل : وجه النعمة : أن الموت سبب النقل إلى دار الجزاء والثواب » (٢)

* عن سهل بن سعد ، رضي الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أتانى جبريل ، فقال :

يامحمد عش ما شئت ، فإنك ميت .

وأحبب من شئت فإنك مفارقه .

واعمل ما شئت ، فإنك مجزى به .

واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل .

وعزه استغناؤه عن الناس » (٣)

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٢٤٠)

(٢) « تفسير القرطبى » (١٧ / ١٦٥)

(٣) حديث حسن : أخرجه الحاكم ، والبيهقى فى « الشعب » وانظر « صحيح الجامع »

* وعن جابر ، ﵁ ، أن النبى ﷺ ، قال :

« **قال لى جبريل :**

يا محمد عش ما شئت ، فإنك ميت .

واحبب ما شئت ، فإنك مفارقه .

واعمل ما شئت ، فإنك ملاقيه » [1]

« قال بعضهم : هذا وعظ ، وزجر ، وتهديد . والمعنى : فليتأهب من غايته للموت بالاستعداد لما بعده . ومن هو راحل عن الدنيا كيف يطمئن إليها فيخرب آخرته التى هو قادم عليها » [2]

وفى الحديثين بيان حتمية الموت ، وأنه لا فوت منه .

* وعن أبى هريرة ﵁ قال :

« أرسل ملك الموت إلى موسى - عليه السلام - فلما جاءه صكه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت ، فرد الله عليه عينه ، وقال : « ارجع فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة » قال : أى رب ، ثم ماذا ؟ قال : « ثم الموت » قال : فالآن .

فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر .

قال : قال رسول الله ﷺ : « **فلو كنت ثمَّ ، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر** » [3]

فى هذا الحديث الدليل القطعى على حتمية الموت ووقوعه ، وأنه لا محيص عنه مهما طال العمر .

---

(١) حديث حسن : أخرجه البيهقى فى « الشعب » وانظر « صحيح الجامع » (٤٢٣١)

(٢) « فيض القدير » (٤ / ٥٠٠)

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب الجنائز » باب « من أحب الدفن فى الأرض المقدسة أو نحوها » ومسلم فى « كتاب الفضائل » « باب فضائل موسى عليه السلام »

* وعن أبى سعيد الخدرى ، رضي الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله - تعالى - لم ينزل داء إلا أنزل له دواء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، إلا السام ، وهو الموت » (١)

« فإذا شاء الله - تعالى - الشفاء : يسَّر ذلك الدواء ، ونبَّه على مستعمله بواسطة أو دونها ، فيستعمله على وجهه وفى وقته فيبرأ .

وإذا أراد هلاكه أذهله عن دوائه ، وحجبه بمانع فهلك . وكل ذلك بمشيئته وحكمه كما سبق فى علمه . وما أحسن قول من قال :

والناس يرمون الطبيب وإنما :. غلط الطبيب إصابة المقدور

علق البرء بموافقة الداء للدواء . وهذا قدر زائد على مجرد وجوده ؛ فإن الدواء متى جاوز درجة الداء فى الكيفية أو الكمية نقله إلى داء آخر ، ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته وكان العلاج قاصراً ، ومتى لم يقع المداوى على الدواء لم يحصل الشفاء ، ومتى لم يكن الزمن صالحاً لم ينفع ، ومتى كان البدن غير قابل له أو القوة عاجزة عن حمله أو ثمَّ مانع منع تأثيره لم يحصل البرؤ ، ومتى تمت المصادفة حصل .

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى: ومما يدخل فى قوله: « جهله من جهله ». ما يقع لبعضهم أنه يداوى من داء بدواء فيبرأ ، ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فيداويه بذلك الدواء بعينه فلا ينجع ، وسببه الجهل بصفة من صفات الدواء ، فرب مرضين تشابها ويكون أحدهما مركباً لا ينجع فيه ما ينجع فى غير المركب ، فيقع الخطأ ، وقد يكون متحداً لكن يريد الله أن لا ينجع وهنا تخضع رقاب الأطباء ، ولهذا قال:

إن الطبيب لذو عقل ومعرفة ... ما دام فى أجل الإنسان تأخير

حتى إذا ما انقضت أيام مدته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

(١) حديث صحيح : أخرجه الحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (١٨٠٥) .

« إلا السام ، وهو الموت » :

فـإنه لا دواء له . والتـقـدير : إلا داء المـوت ، أى المرض الذى قـدر على صاحبه الموت فيه » [1]

* وعن عبد الله بن الشخيـر ، رضي الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « **مثل ابن آدم وإلى جنبه تسعة وتسعون منية ، إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم حتى الموت** » [2]

وذلك « لأن الموت مقدر

والمراد هنا : ما يؤدى إليه من أسبابه .

وسمى كل بلية من البلايا منية لأنها طلائعها ومقدماتها .

« وقع فى الهرم حتى يموت »

يعنى أدركه الداء الذى لا دواء له ، بل يستمر إلى الموت » [3]

* موعظـــــــة :

قال عمر بن ذر ـ رحمه الله تعالى :

« أما الموت فقد شهر لكم .

فأنتم تنظرون إليه فى كل يوم وليلة :

من بين منقول عـزيز على أهله ، كريم فى عشيرته ، مـطاع فى قومه ، إلى حـفرة يابسـة ، وأحجـار من الجندل صم ، ليس يـقدر له الأهلون على وسـاد إلا خالطه فيه الهوام ، فوساده يومئذ عمله .

ومن بين مغموم غريب ، قد كثر فى الدنيـا همه ، وطال فيها سعيه ، وتعب فيها بدنه ، جاءه الموت من قبل أن ينال بغيته ، فأخذه بغتة .

---

(١) « فيض القدير » (٢ / ٢٥٦ ، ٢٥٧)

(٢) حديث صحيح : أخرجه الترمذى ، وانظر « صحيح الجامع » حديث (٥٧٠١)

(٣) « فيض القدير » (٥ / ٥١٦)

ومن بين صبي مرضع ، ومريض موجع ، ورهن بالشر مولع ، وكلهم بسهم الموت يقرع .

أما للعابدين من عبر في كلام الواعظين ؟

ثم قال :

أيها الظالم ، أنت في أجلك الذي أستأجلت ، فاغتنمه قبل نفاده ، وبادره قبل فوته .

وآخر الأجل معاينة الأجل عند نزول الموت ، فعند ذلك لا ينفع الأسف إنما ابن آدم غرض للمنايا منصوب ، من رمته بسهامها لم تخطئه ، ومن أرادته لم تصب غيره .

ألا وإن الخير الأكبر خير الآخرة :

الدائم فلا ينفد .

والباقي فلا يفن .

والممتد فلا ينقطع .

والعباد المكرمون في جوار الله ـ تعالى ـ مقيمون ، في كل ما اشتهت الأنفس ولذت الأعين ، متزاورون على النجائب ، ويتلاقون فيتذاكرون أيام الدنيا

هنيئاً للقوم هنيئاً ، لقد وجد القوم بغيتهم ، ونالوا طلبتهم ، إذ كانت رغبتهم إلى السيد الكريم المتفضل » [1]

---

(١) « حلية الأولياء » (٥ / ١١٥ ، ١١٦)

« أجمعت الأمة على أن الموت :

ليس له سن معلوم .

ولا زمن معلوم .

ولا مرض معلوم .

وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك ، مستعداً لذلك » [1]

* قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(لقمان : ٣٤)

« هذه مفاتيح الغيب التى استأثر الله ـ تعالى ـ بعلمها ، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه ـ تعالى ـ بها .

١ ـ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب :

﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (الأعراف : ١٨٧)

٢ ـ وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه .

٣ ـ وكذلك لا يعلم ما فى الأرحام مما يريد أن يخلقه ـ تعالى ـ سواه ، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى ، أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه .

٤ ـ وكذلك لا تدرى نفس ماذا تكسب غداً فى دنياها وأخراها .

٥ ـ ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (لقمان : ٣٤)

---

(١) « التذكرة » (٩)

في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان لا علم لأحد بذلك

أي ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الأرض

أفي بحر أم بر ؟

أو سهل أو جبل ؟ » [1]

فالموت غيب ، لا اطلاع لأحد على وقته ومكانه إلا الله ـ تعالى ـ وحده

* وعن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله ﷺ :

« مفتاح الغيب خمس ، لاي علمها إلا الله :

لا يعلم أحد مايكون فى غد

ولا يعلم أحد ما يكون فى الأرحام

ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً

وما تدرى نفس بأى أرض تموت .

وما يدرى أحد متى يجىء المطر » [2]

قوله ﷺ :

« وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ »

« أى أين يموت ، كما لا تدرى فى أى وقت تموت فربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرح منها ، فيرمى بها مرامى القدر حتى تموت بأرض لم تخطر بباله » [3]

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى :

« وفى قوله : « **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** » :

---

(1) « تفسير ابن كثير » (٣ / ٣٨٨ ، ٣٩٠)

(2) حديث صحيح أخرجه البخارى فى « كتاب الاستسقاء » « باب لايدرى متى يجىء المطر إلا الله » حديث (١٠٣٩)

(3) « فيض القدير » (٥ / ٥٢٦)

إشارة إلى أمور العالم السفلى ، مع أن عادة أكثر الناس أن يموت ببلده ، ولكن ليس ذلك حقيقة ، بل لو مات فى بلده لا يعلم فى أى بقعة يدفن منها ، ولو كان هناك مقبرة لأسلافه ، بل قبر أعده هو له » [1]

* وعن مطر بن عكامس، ﷺ، أن النبى ﷺ ، قال : « **إذا قضى الله ـ تعالى ـ لعبد أن يموت بأرض ، جعل الله له إليها حاجة** » [2]

قال القرطبى ـ رحمه الله تعالى ـ :

« قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ : فائدة هذا الباب :

تنبيه العبد على التيقظ للموت ، والاستعداد له بحسن الطاعة ، والخروج عن المظلمة ، وقضاء الدين ، وإتيان الوصية بما له أو عليه فى الحضر ، فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر ؛ فإنه لا يدرى أين كتبت منيته من بقاع الأرض .

وأنشد بعضهم :

مشيناها خطى كتبت علينا :. ومن كتبت عليه خطى مشاها

وأرزق لنا متفرقات :. فمن لم تأته منا أتاها

ومن كتبت منيته بأرض :. فليس يموت فى أرض سواها » [3]

* وعن عبيد الله بن خالد، ﷺ، أن النبى ﷺ قال: « **موت الفجأة أخذة أسف** » [4]

« يعنى هو من آثار غضب الله ـ تعالى ـ فإنه لم يتركه ليتوب ويستعد للآخرة ، ولم يمرضه ليكون المرض كفارة لذنوبه ، كأخذة من مضى من العصاة المردة ، كما قال ـ تعالى :

﴿ **فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ (الأعراف : ٩٥)

---

(١) « فتح البارى » (١٣ / ٣٦٥)

(٢) حديث صحيح : أخرجه الترمذى ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (٧٤٨)

(٣) « التذكرة » (٩٤)

(٤) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، وأبو داود ، وانظر « صحيح الجامع » (٦٥٠٧)

وهذا وارد فى حق الكفار والفجار ، لا فى المؤمنين الأتقياء . . . .

قال ابن العربى : وليس موت القوم فجأة ، إنما الفجأة موت اليقظة بغتة » [1]

والمقصود : أن يكون المسلم دائماً أبداً على أهبة واستعداد ؛ إذ لا يدرى فى أى وقت وزمن يموت ، وفى أى أرض وعلى أى حال يقبض .

قال عمارة بن زاذان : « سمعت زياداً النميرى يقول : لو كان لى من الموت أجل أعرف مدته لكنت حرياً بطول الحزن والكمد ، حتى يأتينى وقته ، فكيف وأنا لا أعلم متى يأتينى الموت ، صباحاً أو مساءً ؟

ثم خنقته عبرته ، فقام » [2]

*** موعظة :**

« أين الذين سادوا وشادوا أوطاناً ، وحكموا وأحكموا بنياناً ، وجمعوا فحشدوا أموالاً وأعواناً ، وغفل كل منهم عن مصيره وتوانى ، عوضوا بأرباح الهوى خسراناً ، وبدلوا بإعزاز التجبر هواناً ، وأخرجوا عن ديارهم بعد الجموع وحداناً ، وما استصحب الجموع للذهب إذ ذهب إلا أكفاناً ، يحملون على الأعناق ولا يسمون ركباناً ، وينزلون بطون الألحاد ولا يحسبون ضيفاناً ، متقاربين فى القبور ، ولا يعدون جيراناً ، أو ليس قد رأينا كيف ينقلون وما وعظنا ولا كفانا ، فيا من قد بقى من عمره القليل ، ولا يدرى متى يقع الرحيل ، كأنك بطرفك حين الموت يسيل ، والروح تنزع والكرب ثقيل والنقلة قد أزفت وأين المقيل ، يا من تعد عليه أنفاسه استدركها ، يا من ستفوت أيامه أدركها ، أعز الخلق عليك نفسك فلا تهلكها ، كم أغلقت باباً على قبيح ، وكم أعرضت عن قول النصيح ، وما يخطر على قلبك نزول الضريح ، والوعيد عندك صوت الريح ، أعظم الله أجرك فى عمر قد مضى ، ما رزقت فيه العفو ولا الرضا ، انقضت فيه اللذات كما انقضى ، وصارت الحسرات من الشهوات عوضاً » [3]

---

(١) « فيض القدير » (٦ / ٢٤٦)

(٢) « الحلية » (٦ / ٢٦٧)

(٣) « رؤوس القوارير » (١٥٣)

ـ اعلم رحمك الله ـ تعالى :

أن الله ـ تعالى ـ وحده هو المحى وهو المميت ، فهو وحده الذى يحى ، ويميت ، ويبعث .

* قال ـ تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (آل عمران : ١٥٦)

* قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (التوبة : ١١٦)

* وقال ـ تعالى :

﴿ هو يحى ويميت وإليه ترجعون ﴾ (يونس : ٥٦)

وهذا كثير فى كتاب الله ـ تعالى :

« تمدح سبحانه بالإماتة كما تمدح بالإحياء ؛ ليعلم أن مصدر الخير والشر ، والنفع والضر من قبله ، وأنه لا شريك له فى الملك ، استأثر بالبقاء ، وكتب على خلقه الفناء » [1]

* قال ـ تعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر : ٤٢)

---

(١) « شأن الدعاء » الخطابى / تحقيق أحمد يوسف الدقاق (٨٠) دار المأمون للتراث .

فأخبر الله ـ تعالى ـ فى هذه الآية الكريمة أنه هو الذى يتوفى الأنفس ويميتها . . .
ـ ولكن الله ـ تعالى ـ وكل بالناس ملائكة يقبضون أرواحهم بإذنه سبحانه وتعالى .

* قال تعالى :

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

(السجدة : ١١)

فى الآية إخبار من الله ـ تعالى ـ بأنه وكل بالناس ملكاً يتوفاهم ويقبض أرواحهم بإذنه وعلمه سبحانه وتعالى .

* وقال ـ تعالى :

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (الأنعام : ٦١)

وفى هذه الآية أن هناك أيضاً رسلاً يتوفون الإنسان إذا حان أجله .

« ولا تعارض هذه الآية :

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ (السجدة : ١١)

قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾

(الأنعام : ٦١)

وقوله ـ تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (الزمر : ٤٢)

لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها . ثم تأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ، ويتولونها بعده ، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره ، وحكمه وأمره ، فصحت إضافة التوفى إلى كل بحسبه » [٢]

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (٣٢٥)

سكرات الموت

ـ اعلم رحمك الله ـ تعالى :

أن للموت سكرات

وأن هذه السكرات ملازمة للموت مصاحبة له .

و « لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها ، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ، ويفارقه سهوه وغفلته . وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ، ويعظم له استعداده . لاسيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء : كرب بيد سواك ، لا تدرى متى يغشاك . . . .

ـ **وأعلم أن** : شدة الألم فى سكرات الموت لاي عرفها بالحقيقة إلا من ذاقها . ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التى أدركها . وإما بالاستدلال بأحوال الناس فى النزع على شدة ما هم فيه .

* **فأما القياس الذى يشهد له**: فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم. فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح . فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح . فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم ، والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء ، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم . فإن كان فى الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره . فما أعظم ذلك الألم وما أشده .

* **والنزع** : عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم » (١)

ـ والسكرات : جمع سكرة .

« وسكرة الموت : شدته .

(١) « إحياء علوم الدين »

وهو اختلاف العقل لشدة النزع » [1]

« قال الراغب وغيره : السُّكر : حالة تعرض بين المرء وعقله ، وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر .

ويطلق في : الغضب ، والعشق .

والألم ، والنعاس .

والغشي الناشيء عن الألم . وهو المراد هنا » [2]

* قال الله ـ تعالى :

﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد ﴾ (ق : ١٩)

« أى غمرته وشدته .

فالإنسان ما دام حياً تكتب عليه أقواله وأفعاله ليحاسب عليها ، ثم يجيئه الموت ، وهو ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله ـ تعالى ـ وعده وأوعده .

وقيل : الحق هو الموت ؛ سمى حقاً :

إما لاستحقاقه .

وإما لانتقاله إلى دار الحق . . . .

﴿ ذلك ماكنت منه تحيد ﴾ : (ق : ١٩)

أى يقال لمن جاءته سكرة الموت : ذلك ما كنت تفر منه ، وتميل عنه » [3]

* وعن أبى عمرو ذكوان مولى عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تقول :

« إن من نعم الله علىَّ ، أن رسول الله ﷺ توفى فى بيتى ، وفى يومى ، وبين سحرى ونحرى ، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته :

---

(١) « بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز » للفيروز آبادى / تحقيق محمد على النجار (٣ / ٢٣٤) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

(٢) نقلاً من « فتح البارى» (١١ / ٣٦٢)

(٣) « تفسير القرطبى » (١٧ / ١٢ ، ١٣)

دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك . فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم

فتناوله فاشتد عليه . وقلت : أُلينه لك ؟

فأشار برأسه أن نعم .

فلينته ، فأمرّه ، وبين يديه ركوة - أو علبة - يشك عمر - [1] فيها ماء . فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح به وجهه يقول :

« **لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات** »

ثم نصب يده فجعل يقول :

« **فى الرفيق الأعلى** »

حتى قبض ، ومالت يده » [2]

فهذا نبى الله ﷺ يعانى فى وفاته من سكرات الموت ، ويخبر عنها . قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى :

« وفى الحديث : أن شدة الموت لا تدل على نقص فى المرتبة ، بل هى للمؤمن :

إما زيادة فى حسناته .

وإما تكفير لسيئاته » [3]

---

(١) معناه : أن الشك وقع من عمر بن سعد ، الراوى عن ابن مليكة ، فى هل هى ركوة ، أم علبة ؟

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب المغازى » « باب مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته » حديث (٤٤٤٩)

(٣) « فتح البارى » (١١ / ٣٦٣) .

* **تنبيـــه :**

« إذا ثبت ما ذكرناه ، فاعلم :

أن الموت : هو الخطب الأفظع .

والأمر الأشنع .

والكأس التى طعمها أكره وأبشع .

وأنه الحارث الأهذم للذات .

والأقطع للراحات .

والأجلب للكريهات .

فإن أمـراً يقطع أوصالك . ويفـرق أعضاءك . ويهـدم أركانك : لهـو الأمر العظيم .

والخطب الجسيم

وإن يومه لهو اليوم العظيم » (١)

* **موعظـــــة :**

« أيها الناس :

قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه .

وحان للغافل أن ينتبه من غفلته .

قبل هجوم الموت بمرارة كأسه .

وقبل سكون حركاته

وخمود أنفاسه .

ورحلته إلى قبره .

ومقامه بين أرماسه » (٢)

---

(١) « التذكرة » (٢٨)

(٢) « التذكرة » (٢٢)

حال المؤمن وحال الكافر فى الموت

ـ أما المؤمن :

فحاله عند الموت خير الأحوال وأنعمها .

ـ وأما الكافر :

فحاله عند الموت شر الأحوال وأسوؤها .

١ ـ بيان حال المؤمن وحال الكافر عند الموت فى القرآن الكريم :

* قال الله ـ تعالى :

﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (النحل : ٣٢)

فى هذه الآية يخبر الله ـ تعالى ـ عن حال المؤمنين عند الاحتضار وقبض أرواحهم، وأنهم فى هذه الحال طيبون مبرأون من كل آفة وسوء ، وأن الملائكة تبشرهم بالجنة وتسلم عليهم .

« طيبين » فيه ستة أقوال :

الأول : ﴿ طيبون ﴾ : طاهرين من الشرك .

الثانى : صالحين .

الثالث : زاكية أفعالهم وأقوالهم .

الرابع : طيبين الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله ـ تعالى .

الخامس : طيبة نفوسهم بالرجوع إلى الله .

السادس : ﴿ طيبين ﴾ أن تكون وفاتهم طيبة سهلة لاصعوبة فيها ولا ألم ، بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمخلط . والله أعلم » [١]

(١) « تفسير القرطبى » (١٠ / ١٠١)

* وأما عن أحوال الكافر عند الموت ، فمنها .

١ - أن مماته كحياته سواء فى السوء :

قال الله - تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية : ٢١)

أى محياهم ومماتهم سواء .

والضمير فى : **﴿ محياهم ومماتهم ﴾** يعود على الكفار .

أى محايهم محيا سوء .

ومماتهم كذلك . . .

ويجوز أن يكون : **﴿ محياهم ومماتهم ﴾**

بدلاً من « الهاء والميم » فى « نجعلهم » ، المعنى : أن نجعل محياهم ومماتهم سواء كمحيا الذين آمنوا ومماتهم . [١]

ويجوز أن يكون الضمير فى : **﴿ محياهم ومماتهم ﴾** للكفار والمؤمنين جميعاً.

قال مجاهد : المؤمن يموت مؤمناً ويبعث مؤمناً ، والكافر يموت كافراً ويبعث كافراً » [٢]

٢ - أن الملائكة توبخهم وتبكتهم عند الموت :

قال الله - تعالى :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

(الأعراف : ٣٧)

---

(١) يقصد أنه يجوز أن يكون بهذه الصورة فى موضع استفهام وإنكار عليهم أن يكونوا كالذين آمنوا فى حياتهم وعند موتهم .

(٢) « تفسير القرطبى » (١٦ / ١٦٥ ، ١٦٦)

و« المعنى : أى ظلم أشنع من الافتراء على الله ـ تعالى ـ والتكذيب بآياته . .

ثم قال : ﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ (الأعراف : ٣٧)

أى : ما كتب لهم من رزق وعمر وعمل .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف : ٣٧)

يعنى رسل الموت . . .

﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (الأعراف : ٣٧)

سؤال توبيخ

ومعنى « تدعون » : تعبدون » [1]

وفى هذا يخبر ـ تعالى ـ أن الملائكة إذا توفت المشركين ، تفزعهم عند الموت ، وقبض أرواحهم إلى النار ، يقولون لهم : أين الذين كنتم تشركون بهم فى الحياة الدنيا وتدعونهم من دون الله ، ادعوهم يخلصونكم مما أنتم فيه .

﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾ : (الأعراف : ٣٧)

أى ذهبوا عنا ، فلا نرجوا نفعهم ولاخيرهم

﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأعراف : ٣٧)

أى أقروا واعترفوا على أنفسهم :

﴿ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [2] (الأعراف : ٣٧)

٣ ـ أنهم يستسلمون ويقرون لله ـ تعالى ـ بالربوبية :

قال الله ـ تعالى :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل : ٢٨)

---

(١) «تفسير القرطبى » (٧ / ٢٠٣ ، ٢٠٤)

(٢) «تفسير ابن كثير » (٢ / ١٨٥)

« يخبر ـ تعالى ـ عن حال المشركين الظالمى أنفسهم عند احتضارهم ، ومجىء الملائكة إليهم تقبض أرواحهم الخبيثة » [1]

وهذا من صفة الكافرين .

و ﴿ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ (النحل : ٢٨)

نصب على الحال ، أى وهم ظالمون أنفسهم إذ أوردوها موارد الهلاك .

﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ﴾ (النحل : ٢٨)

أى : الاستسلام . أى : أقروا لله بالربوبية وانقادوا عند الموت ، وقالوا :

﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ﴾ (النحل : ٢٨)

أى : من شرك .

فقالت لهم الملائكة : ﴿ بَلَىٰ ﴾

قد كنتم تعملون الأسوأ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [2] (النحل : ٢٨)

٤ ـ أن أرواحهم تخرج بالضرب والهوان :

* قال الله ـ تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام : ٩٣)

« أى : لا أحد أظلم ممن كذب على الله ، فجعل له شركاء أو ولداً ، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله ، ولهذا قال ـ تعالى :

(١) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٤٩٠)

(٢) « تفسير القرطبى » (١٠ / ٩٩)

﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ (الأنعام : ٩٣)

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ (الأنعام : ٩٣)

أي : في سكراته وغمراته وكرباته .

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ . (الأنعام : ٩٣)

أي : بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، ولهذا يقولون لهم :

﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ : (الأنعام : ٩٣)

أي : اليوم تهانـون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون على اتباع آياته والانقياد لرسله » [١]

* وفي نفس الحال ، قال ـ تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

(الأنفال : ٥٠ ، ٥١)

« يقول ـ تـعالى : لو عاينـت يا محمـد حال توفي الملائكة أرواح الـكفار ، لرأيت أمراً عظيمـا هائلاً فظيعاً منكراً ؛ إذ يضربون وجـوههم وأدبارهم ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب الحريق » [٢]

وبيَّن الله ـ تعالى ـ أن هذا أصابهم لما اقترفوه واكتسبوه من الكفر والسيئات ، وأنه ـ تعالى ـ لم ولن يظلم أحداً ؛ فهو ـ تعالى ـ منزه عن ذلك ».

* وفي نفس الحال ، قال ـ تعالى :

﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ (محمد : ٢٧)

(١) « تفسير ابن كثير » (٢ / ١٣٧ ، ١٣٨)

(٢) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٢٧٧)

« أى : كيف حـالهم إذا جاءتهم الملائكـة لقبض أرواحهم ، وتـعاصت الأرواح فى أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب » [1]

٢ - بيان حال المؤمن وحال الكافر عند الموت فى السنة المشرفة :

١ - عن البـراء بن عازب ﷺ ، قـال : خرجـنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار . فانتهينا إلى القبر ولما يلحد .

فجلس رسول الله ﷺ مستقبـلاً القبلة ، وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطيـر ، وفى يده عود ينكت فى الأرض . فـجعـل ينظر إلى السمـاء ، وينظر إلى الأرض ، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثاً .

فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر »

مرتين ، أو ثلاثاً . ثم قال : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر » ثلاثاً .

ثم قال :

« إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة :

ـــ نزل إليه ملائكة من السماء : بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس .

ـــ معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر .

ـــ ثم يجىء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه ، فيقول :

أيتها النفس الطيبة ، اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان .

ـــ قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِىِّ السقاء ، فيأخذها .

ـــ فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط .

- ويخرج منها كأطيب نفخة مسك وجدت على وجه الأرض .

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ١٦٠)

ـ فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ماهذا الروح الطيب ؟

فيقـولون : فلان بن فلان ـ بأحسن أسـمائه التى كانوا يسمونه بـها فى الدنيا ـ حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا ، حتى ينتهى إلى السماء السابعة .

ـ فيقول الله ـ عز وجل : « اكتبوا كتاب عـبدى فى عليين ، وأعيدوا عبدى إلى الأرض ؛ فإنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى »

ـ فتعاد روحه . فيأتيه ملكان ، فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟

فيقول : ربى دينى .

فيقولان له : ما دينك ؟

فيقول : دينى الإسلام .

فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟

فيقول : هو رسول الله .

فيقولان له : وما علمك ؟

فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت .

ـ فينادى مناد من السـماء : « أن صدق عبـدى » فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة .

ـ فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره .

ـ ويأتيه رجل حسن الوجـه ، حسن الثياب طيب الريح ، فيـقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد .

فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير .

فيقول : أنا عملك الصالح .

فيقول : رب أقم الساعة . رب أقم الساعة ؛ حتى أرجع إلى أهلى ومالى .

- وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة :

- نزل إليه من السماء ملائكة : سود الوجوه .

- معهم المسوح . فيجلسون منه مد البصر .

- ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتـها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخط من الله وغضب ، فتفرّق فى جسده .

- فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول . فيأخذها .

- فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح .

- ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض .

- فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ماهذا الروح الخبيث ؟

فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا .

- فيستفتح له ، فلا يفتح له ، ثم قرأ :

﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ (الأعراف : ٤٠)

فيقول الله عز وجل : « اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى .

- فتطرح روحه طرحاً ، فتعاد روحه فى جسده .

- ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له :

من ربك ؟

فيقول : هاه هاه لا أدرى .

فيقولان له : ما دينك ؟

فيقول : هاه هاه لا أدرى .

فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟

فيقول : هاه هاه لا أدرى .

فينادى مناد من السماء : « أن كذب عبدى ، فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار » .

فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه .

ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسؤوك ، هذا يومك الذى كنت توعد . فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر

فيقول : أنا عملك الخبيث .

فيقول : رب لا تقم الساعة » (١)

٢ ـ وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ ، قال :

« لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ؛ فإن نفس المؤمن تخرج رشحاً ، ونفس الكافر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار » (٢)

٣ ـ وعن بريدة ، رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« المؤمن يموت بعرق الجبين » (٣)

٤ ـ وعن أبى سعيد الخدرى ، رضي الله عنه قال : كان النبى ﷺ يقول « **إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت قدمونى .**

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، وأبو داود ، وابن خزيمة ، والحاكم ، والبيهقى فى « الشعب »، وانظر « صحيح الجامع » حديث (١٦٧٢)

(١) حديث حسن : أخرجه الطبرانى فى « الكبير » وانظر « صحيح الجامع » (٥٠٢٥)

(٣) حديث صحيح : أخرجه أحمد والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (٦٥٤١)

وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها : يا ويلها ، أين يذهبون بها ؟

يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمع الإنسان لصعق » [1]

اشتملت هذه الأحاديث على بيان أحوال المؤمن وأحوال الكافر فى وقت الاحتضار وعند الموت .

* أما أحوال المؤمن وكراماته عند الاحتضار والموت ، فإنه :

- يتولى قبض روحه ملائكة طيبون وجوههم بيضاء كالشمس .
- وينزلون إليه ومعهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة
- ويبشره ملك الموت - عليه السلام - بخروج روحه إلى غفران الله - تعالى - ورضوانه .
- ويموت المسلم بعرق الجبين ، وهى علامة من علامات حسن الخاتمة ، فتخرج نفسه رشحاً وتسيل بسهولة سيلان قطرة الماء من فىِّ السقاء .
- وتأخذها الملائكة ، فتضعها فِى ذلك الكفن وذلك الحنوط الذى هو من الجنة ، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض .
- ويصعد الملائكة بالروح إلى السماء ، فيشيعونها بالبشرى والثناء الجميل .
- وتقابل بالبشرى العظمى من عند الله - تعالى - ورضوانه ، بأن يقول الله عز وجل :

« اكتبوا كتاب عبدى فى عليين »

* وأما أحوال الكافر ومهاناته عند الاحتضار والموت ، فإنه :

- يتولى قبض روحه الخبيثة ملائكة سود الوجوه .
- وينزلون إليه ومعهم المسوح .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب الجنائز » « باب قول الميت وهو على الجنازة : قدمونى» . وأحمد ، والنسائى

ـ ويبشر ملك الموت بخروج روحه إلى غضب الله ـ تعالى ـ وسخطه وعذابه .

ـ وتخرج روحه بانتزاع شديد من جسده ، كالسيخ المحمى الذى ينتزع من الصوف المبلول ، وتخرج من جسده كما تخرج نفس الحمار .

ـ وتأخذالملائكة هذه الروح الخبيثة فتضعها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ويصعد الملائكة بها ، فيتأذى كل ملأ من الملائكة من نتن ريح هذه الروح ، ولا يفتح لها باب سماء .

ـ يأمر الله ـ تعالى ـ بأن تعذب هذه الروح ، فيقول ـ جل وعلا :

« **اكتبوا كتابه فى سجين** » .

ـ والحديث الرابع يبين حال المؤمن وحال الكافر عند احتمال جنازتهما .

فأما المؤمن :

فيقول : قدمونى .

وأما الكافر :

فيقال : يا ويلها ، أين يذهبون بها .

وفى هذا زيادة فى بشرى المؤمن ، وبؤس الكافر .

ـ فيمن أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله :

* عن أبى موسى ، رضي الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« **من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه .**

ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه . (1)

* وعن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(1) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب الرقاق » « باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ومسلم فى « كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار » « باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . . . »

« **من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه .**

ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه .

فقلت : يانبى الله ، أكراهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت .

فقال : « ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه .

وأن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه ، كره لقاء الله ، فكره الله لقاءه » (١)

قال الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى :

« هذا الحديث يفسر آخره أوله ، ويبين المراد بباقى الأحاديث المطلقة : من أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله .

ومعنى الحديث : أن الكراهية المعتبرة هى التى تكون عند النزع فى حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه ، ما أعد له ، ويُكشف له عند ذلك .

فأهل السعادة : يحبون الموت ولقاء الله ، لينتقلوا إلى ما أعد لهم ، ويحب الله لقاءهم ، أى : فيجزل لهم العطاء والكرامة .

وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ، ويكره الله لقاءهم ، أى : يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم » (٢)

ـ قال عقبة بن مسلم :

« ما من خصلة فى العبد أحب إلى الله ـ تعالى ـ من أن يحب لقاءه . وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله ـ تعالى ـ منه حيث يخر ساجداً » (٣)

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) « صحيح مسلم بشرح النووى » (١٧ / ٩ ، ١٠)

(٣) « كتاب الزهد » لابن المبارك / تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى (٩٥) دار الكتب العلمية .

ـ و « عن قتادة : أن عامر بن عبد قيس لما حضر جعل يبكى . فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : مـا أبكى جزعـاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنـيا ، ولكن أبكى على ظمأ الهواجر ، وعلى قيام ليالى الشتاء » (١)

*** الأمر بحسن الظن بالله ـ تعالى ـ عند الموت :**

* عن جابر ، ﷺ ، قال : سمعت النبى ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول :

« **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن** » (٢)

« قال العلماء : معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه .

قالوا : فى حالة الصحة يكون خائفاً راجياً ويكونان سواء .

وقـيل : يكون الخـوف أرجح ، فـإذا دنـت أمـارات الموت غلب الرجـاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصى والقبائح ، والحرص على الإكثار من الطاعـات والأعمال ، وقـد تعذر ذلك أو مـعظمه فى هذا الحـال ، فاسـتحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله ـ تعالى ـ والإذعان له » . (٣)

---

(١) «كتاب الزهد » لابن المبارك (٩٥)

(٢) حديث صحيح : أخرجـه مسلم فى « كتاب الجنة وصفة نعيمهـا وأهلها » « باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت » .

(٣) « صحيح مسلم بشرح النووى » (١٧ / ٢١٠)

حسن الخاتمة وسوء الخاتمة

حسن الخاتمة هى رجاء كل مسلم ؛ فالمسلم يسأل الله ـ تعالى ـ أن يرزقه حسن الخاتمة ، ويعوذ بالله ـ تعالى ـ من سوء الخاتمة ، وذلك لأمور :

* عن سهل بن سعد ، رضي الله عنه قال :

نظر النبى ﷺ إلى رجل يقاتل المشركين ، وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم [(١)] فقال : « **من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فينظر إلى هذا** »

فتبعه رجل ، فلم يزل على ذلك حتى جُرح ، فاستعجل الموت ، فقال بذبابة سيفه فوضعه بين ثدييه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه .

فقال النبى ﷺ « **إن العبد ليعمل - فيما يرى الناس - عمل أهل الجنة ، وإنه لمن أهل النار ، ويعمل - فيما يرى الناس - عمل أهل النار ، وهو من أهل الجنة . وإنما الأعمال بخواتيمها** » [(٢)]

« قال ابن بطال : فى تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتقدير لطيف، لأنه لو علم وكان ناجياً أعجب وكسل ، وإن كان هالكاً ازداد عتواً ، فحجب عنه ذلك بين الخوف والرجاء .

وقد روى الطبرى عن حفص بن حميد قال : قلت لابن المبارك :

رأيت رجلاً قتل رجلاً ظلماً فقلت فى نفسى : أنا أفضل من هذا . فقال : أمنك على نفسك أشد من ذنبه .

قال الطبرى : لأنه لا يدرى ما يؤول إليه الأمر ، لعل القاتل يتوب توبته ، ولعل الذى أنكر عليه يختم له بخاتمة السوء » [(٣)]

---

(١) أى: كفاية .

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخارى فى « كتاب الرقاق » « باب الأعمال بالخواتيم ، وما يخاف منها »

(٣) « فتح البارى » (١١ / ٣٣٠)

* وعن معاذ رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** » [1]

فهو يطمع فى الجنة ودخولها ؛ إذ إن مآل حسن الخاتمة : رضا الله - تعالى - ودخول جنته التى وعد بها المؤمنين به .

ولأن « لا إله إلا الله » علامة من علامات حسن الخاتمة ، ولهذا قال النبى ﷺ : « **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله** » [2]

* وعن جابر ، رضي الله عنه ، أن رسول ﷺ قال :

« **من مات على شيء بعثه الله عليه** » [3]

« أى : يموت على ما عاش عليه .

ويراعى فى ذلك حال قلبه لا حال شخصه ؛ لأن نظر الحق إلى القلوب دون ظواهر الحركات ، فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ، ولا ينجو فيها إلا من أتى الله بقلب سليم »

فحسن الخاتمة هى الأمل المنشود لكل مسلم ، والرجاء الموعود لكل مؤمن ، فإنه علم أن :

* من قال لا إله إلا الله دخل الجنة »

وهو يرجو الله أن يختم له بها فيدخل الجنة .

* وإنما الأعمال بخواتيمها » :

والمسلم يرجو من الله - تعالى - أن يختم له بخير .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (٦٣٥٥)

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم فى « كتاب الجنائز » « باب تلقين الموتى : لا إله إلا الله » عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه .

(٣) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » حديث (٦٤١٩)

* وأن « من مات على شيء بعثه الله عليه »

وهو يأمل أن يموت على خير حتى يبعث عليه .

- من علامات حسن الخاتمة :

* عن عمرو بن الحمق ، رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« **إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله** »

قيل : وما استعمله ؟

قال : « يفتح له عملاً صالحاً بين يدى موته حتى يرضى عليه من حوله » [1]

* وعن أبى عنبة ، رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« **إذا أراد الله بعبد خيراً عسله** »

قيل : وما عسله ؟

قال : « يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ، ثم يقبضه عليه » [2]

فهذا من علامات حسن الخاتمة التى أرادها الله ـ تعالى ـ لعبده .

وفى الحديثين فائدتان :

الأولى : أن الله ـ تعالى ـ لما أراد بعبده الخير ، فتح له باباً من أبواب العمل الصالح ، ووفقه إلى فعله .

والثانية : أنه مات وقبض على هذا العمل .

* وعن بريدة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« **المؤمن يموت بعرق الجبين** » [3]

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (٣٠١)

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد، والطبرانى فى « المعجم الكبير » وانظر « صحيح الجامع » (٣٠٤)

(٣) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (٦٥٤١)

« قيل : هو لما يعالج من شدة الموت ، فقد تبقى عليه بقية من الذنوب ، فيشدد عليه وقت الموت ليخلص عنها .

وقيل : هو من الحياء ؛ فإنه إذا جاءت البشرى مع ما كان قد اقترف من الذنوب ، حصل له بذلك خجل وحياء من الله - تعالى - فعرق لذلك جبينه .

وقيل : يحتمل أن عرق الجبين علامة جعلت لموت المؤمن ، وإن لم يعقل معناه » [(1)]

- وحسن الخاتمة خاصة بالمسلم ، وأما الكافر فخاتمته خاتمة السوء ، إلا أن يمن الله - تعالى - على بعض الكفار بالهداية والإسلام ويقبضه على ذلك ، وهذا حدث مع كثير من الناس .

* عن أنس ، رضي الله عنه « أن غلاماً ليهودى كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم ، فمرض ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده ، **فقال** : « **أسلم** » . **فأسلم** [(2)]

فهذا الغلام اليهودى قد ختم له بالسعادة ، وأن الله - تعالى - أراد له الخير فرزقه الإسلام والموت عليه .

* موعظة :

خوف السابقة وحذر الخاتمة قلقل قلوب العارفين ، وزادهم إزعاجاً ، يحول بين المرء وقلبه ، وليس لهم فى الدنيا راحة ، كلما دخلوا سكة من سكك السكون أخرجهم الجزع إلى شارع من شوارع الخوف :

أروح بشجو ثم أغدو بمثله .:. وتحسب أنى فى الثياب صحيح

(1) « سنن النسائي بشرح السيوطي » (٣ / ٦)

(2) حديث صحيح : أخرجه البخارى في « كتاب المرضى » « باب عيادة المشرك » .

أحكم القوم العلم ، فحكم عليهم بالعمل ، فقاطعوا التسويف الذى يقطع أعمار الأعمال ، وانتبهوا فانتهبوا الليل والنهار ، وأخرجوا قوى العزائم إلى الأفعال ، فلما قضوا ديون الجد قضت علومهم بالحذر من الرد ، حنوا فأنوا ، وانزعجوا فما اطمأنوا ، أنفاسهم لا تخفى ، نفوسهم تكاد تطفىء لون المحب غماز ، دمع المشوق نمام من ضرورة دوران الدولان ، أنينه أخفى كمد الهوى ، ودمعى فى الخد على هواك شاهد ، تضادا فى قلب فالجفن بلوعتى مقر للعاذل ، واللسان جاحد ، تضادا فى قلوب العارف جليل الخوف ، فلما وصل اسكندر الفكر ، عبأ زُبَرَ الهموم حتى ساوى الصدفين ، ثم صاح بجند الفهوم انفخوا ، فاستغاث الواجد لتراكم الكرب » [1]

(١) « اللطائف فى الوعظ » (٤٤) .

الموت فى الآخرة

سبحان الذى كتب على الموت الفناء . فإن الموت يقضى عليه بالفناء يوم القيامة ، فلا يموت أهل الجنة ، بل يزدادون نعيماً على نعيمهم .

* قال ـ تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(الدخان : ٥١-٥٧)

يخبر الله ـ تعالى ـ عن حال المؤمنين المتقين ، وما أعد لهم فى الآخرة من جنات ونعيم ، وأنهم :

﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ ﴾ . (الدخان : ٥٦)

« أى : لا يذوقون فيها الموت البتة ؛ لأنهم خالدون فيها .

﴿ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ ﴾ . (الدخان : ٥٦)

على الاستثناء المنقطع ، أى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها فى الدنيا » [1]

* وعن أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ، رضي الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ينادى مناد : إن لكم أن تصحوا ، فلا تسقموا أبداً

وإن لكم أن تحيوا ، فلا تموتوا أبداً .

وإن لكم أن تشبوا ، فلا تهرموا أبداً .

وإن لكم أن تنعموا ، فلا تبأسوا أبداً

---

(١) « تفسير القرطبى » (١٦ / ١٥٤)

فذلك قـوله ـ عز وجل : ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [1] (الأعراف : ٤٣)

وفى هذا الحـديث بيان أن نـعيم الجنة دائم غـيـر منقطع ، وأن أهل الجنة لا يموتون فيها ، بل هم فيها خالدون .

هذا بالنسبة للمؤمنين أهل الجنة .

وأما الكفـار أهل النار : فلا يموتون أيضـاً بل يزدادون شقاء على شـقائهم ، وعذاباً على عذابهم .

* قال ـ تعالى :

﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليـهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور ﴾ (فاطر : ٣٦)

* وقال ـ تعالى :

﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (إبراهيم : ١٥ - ١٧)

* قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ (طه: ٧٤)

* وقال ـ تعالى :

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ (الأعلى: ٩ - ٣)

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب « في دوام نعيم أهل الجنة»

في هذه الآيات بيان أن الكافر في الآخرة وهو في النار مخلد فيها ، لا ينقطع عنه العذاب لا بموت ولا غيره ، وذلك مع ما يأتيه من أسباب الموت من كل مكان إلا أنه :

﴿ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴾ (الأعلى : ١٣)

فلا ينتفع فيها بحياته .

ولا يستريح بموته .

قال الشاعر :

ألا من لنفس لا تموت فينقضى :. شقاها ولا تحيا حياة لها طعم »[1]

أما الموت، فكيف يقضى عليه في الآخرة :

* عن أبى سعيد ، ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟

فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم . هذا الموت .

قال : ويقال : يا أهل النار ، هل تعرفون هذا ؟

قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت .

قال : فيؤمر به فيذبح .

قال : ثم يقال : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت .

ويا أهل النار ، خلود فلا موت »

قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ :

---

(١) « تفسير القرطبى » (١١ / ٢٢٧)

﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يومنون ﴾

(مريم : ٣٩)

وأشار بيده إلى الدنيا » [1]

* وعن أبى سعيد رضي الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« يؤتى بالموت كأنه كبش أملح ، حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال :

يا أهل الجنة . فيشرئبون .

ويقال : يا أهل النار . فيشرئبون .

هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت .

فيضجع ، ويذبح .

فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً .

ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة ، لماتوا ترحاً » [2]

« قال المازرى :

الموت عند أهل السنة عرضٌ يضاد الحياة .

وقال بعض المعتزلة : ليس بعرض ، بل معناه عدم الحياة .

وهذا خطأ ؛ لقوله ـ تعالى : (خلق الموت والحياة) (الملك : ١)

فأثبت الموت مخلوقاً .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخاري في « كتاب التفسير - تفسير سورة مريم » « باب قوله : « وأنذرهم يوم الحسرة » ومسلم في « كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها » « باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء » .

(٢) حديث حسن : أخرجه الترمذي ، وانظر « صحيح الجامع » حديث (٧٨٧٥)

(٣) يقصد أن الموت ليس حالياً في الحياة الدنيا عبارة عن جسم في صورة الكبش ، وإنما يصير كهذا في الآخرة على صورة كبش كما دل عليه الحديث .

وعلى المذهبين . ليس الموت بجسم فى صورة كبش أو غيره [٣] ، فيتأول الحديث على أن الله يخلق هذا الجسم ، ثم يذبح مثالاً ، لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة » [١]

و « لا مانع أن ينشىء الله من الأعراض أجساداً يجعلها مادة لها ، كما ثبت فى « صحيح مسلم » فى حديث أن البقرة وآل عمران يجيئان كأنهما غمامتان » . ونحو ذلك من الأحاديث

قال القرطبى :

وفى هذه الأحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد ، وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت ولا حياة نافعة ولا راحة ، كما قال ـ تعالى :

(لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) (فاطر : ٣٦) » [٢]

« أين الذين سادوا وشادوا أوطاناً ؟ !

وحكموا وأحكموا بنياناً .

وجمعوا فحشدوا أموالاً وأعواناً .

وغفل كل منهم عن مصيره وتوانى .

عُوِّضوا بأرباح الهوى خُسْراناً .

وبدلوا بإعزاز التجبر هواناً

وأخرجوا عن ديارهم بعد الجموع وحداناً .

وما استصحب الجموع للذهب إذ ذهب إلا أكفاناً .

يُحملون على الأعناق ولا يُحسبون ضيفاناً .

متقاربين فى القبور ولا يُعدون جيراناً

أو ليس قد رأينا كيف ينقلون وما وعظنا ولا كفانا .

---

(١) « صحيح مسلم بشرح النووي » (١٧ / ١٨٤ ، ١٨٥)

(٢) « فتح الباري » (١١ / ٤٢١)

فيا من قد بقى من عمره القليل .

ولا يدرى متى يقع الرحيل

كأنك بطرفك حين الموت يسيل .

والروح تنزع والكرب ثقيل

والنقلة قد أزفت وأين المقيل

يا من تعد أنفاسه عليه : استدركها

يا من ستفوت أيامه : أدركها

أعز الخلق عليك نفسك : فلا تهلكها

كم أغلقت باباً على قبيح

وكم أعرضت عن قول النصيح

وما يخطر على قلبك نزول الضريح

والوعيد عندك صوت الريح

أعظم الله أجرك فى عمر قد مضى

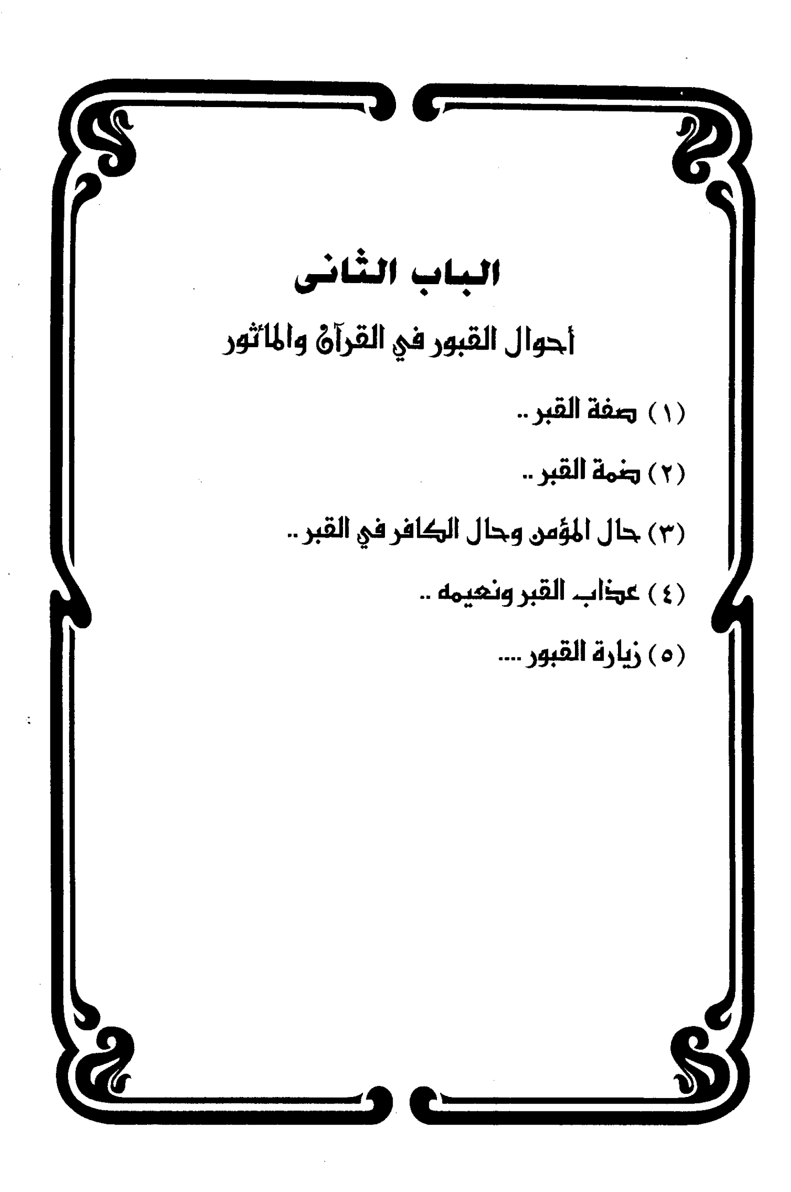
ما رزقت فيه العفو ولا الرضا .

انقضت فيه اللذات كما انقضى .

وصارت الحسرات من الشهوات عوضاً » [1]

---

(١) « رؤوس القوارير » (١٥٣) .



الباب الثانى

أحوال القبور في القرآن والمأثور

(١) صفة القبر ..

(٢) ضمة القبر ..

(٣) حال المؤمن وحال الكافر في القبر ..

(٤) عذاب القبر ونعيمه ..

(٥) زيارة القبور ....

تمهيد

قال الله - تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾ (التكاثر ١ - ٨)

« أخبر - سبحانه وتعالى - أن التكاثر شغل أهل الدنيا وألهاهم عن الله والدار الآخرة ، حتى حضرهم الموت فزاروا المقابر ولم يفيقوا من رقدة إلهاء التكاثر .

وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت ؛ إيذاناً بأنهم غير مستبقين ولا مستقرين فى القبور ، وأنهم فيها بمنزلة الزائرين ، يحضرونها مرة ثم يظعنون عنها كما كانوا فى الدنيا ، كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها ، ودار القرار هى الجنة أو النار .

ولم يعين - سبحانه وتعالى - المتكاثر به، بل ترك ذكره. إما لأن المذموم هو نفس التكاثر بالشيء، لا المتكاثر به. كما يقال: شغلك اللعب واللهو ولم يذكر ما يلعب ويلهو به.

وإما : إرادة الإطلاق ، وهو كل ما تكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا : من مال أو جاه ، أو عبيد أو إماء ، أو بناء أو غراس ، أو علم لا يبتغى به وجه الله ، أو عمل لا يقربه إلى الله . فكل هذا من التكاثر الملهى عن الله والدار الآخرة.

وفى « صحيح مسلم » من حديث عبد الله بن الشخير ، أنه قال : انتهيت إلى النبى ﷺ وهو يقرأ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ (التكاثر : ١)

قال : « **يقول ابن آدم : مالى ، مالى .**

وهل لك من مالك :

إلا ما تصدقت فأمضيت .

أو أكلت فأفنيت .

أو لبست فأبليت ؟ ! » [1]

ثم توعد - سبحانه وتعالى - من ألهاه التكاثر وعيداً مؤكداً ، إذا عاين تكاثره قد

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم .

ذهب هباء منثوراً، وعلم أن دنياه التى كاثر بها إنما كانت خدعاً وغروراً، فوجد عاقبة تكاثره عليه لا له، وخسر هنالك تكاثره كما خسره أمثاله ، وبدا له من الله مالم يكن فى حسابه، وصار تكاثره الذى شغله عن الله والدار الآخرة من أعظم أسباب عذابه .

فعذب بتكاثره فى دنياه .

ثم عذب فى البرزخ .

ثم يعذب به يوم القيامة .

فكان أشقى الناس بتكاثره ؛ إذ أقاد منه العطب دون الغنيمة والسلامة ، فلم يفر من تكاثره إلا بأن صار من الأقلين ، ولم يحظ من علوه فى الدنيا إلا بأن حصل مع الأسفلين .

فيا له من تكاثر ما أثقله وزراً .

وما أجلبه من غنى جالباً لكل فقر .

وخيراً توصل به إلى كل شر .

يقول صاحبه إذا انكشف عنه غطاؤه : يا ليتنى قدمت لحياتى ، وعملت فيه بطاعة الله قبل وفاتى

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون:٩٩-١٠٠)

فقيل له **(كلا إنها كلمة هو قائلها)**

تلك كلمة يقولها . فلا يعول عليها .

ورجعته يسألها . فلا يجاب إليها . . . .

فلله ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها فائدة ، وأبلغها موعظة وتحذيراً، وأشدها ترغيباً فى الآخرة ، وتزهيداً فى الدنيا ، على غاية اختصارها ، وجزالة ألفاظها ، وحسن نظمها .

فتبارك من تكلم بها حقاً .

وبلغها رسوله ﷺ عنه وحياً » [١]

فاحذروا أن تفتنكم الدنيا باللهو والتفاخر، فتقعوا فى شرك الغفلة بالتكاثر، فتذهلوا عما وراء الموت والمقابر .

---

(١) « التفسير القيم » (٥١٣ ، ٥١٤) و (٥٢٣)

١ - صفة القبر

القبر ظاهر وباطن

*** فأما ظاهره**

فتلك الحفرة من الأرض .

المشيدة بالحجر والطوب .

فرشها . . ووسادها تراب .

بيت الوحشة . . بيت الوحدة

بيت الغربة . . بيت الدود .

بيت الظلمة . .

*** وأما باطنه :**

فإما عذاب . . . . وإما نعيم .

فيه روعة الملكين منكر ونكير .

فيه فتنة السؤال

فيه السعة . . أو الضيق .

فيه البشرى بالثواب والنعيم .

أو البشرى بالعقاب والجحيم

* عن هانيء مولى عثمان ، قال : كان عثمان بن عفان ﷺ إذا وقف على قبر يبكى حتى يبل لحيته . فقيل له :

تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هذا ؟

قال : إن رسول الله ﷺ قال :

« إن القبر أول منازل الآخرة :

فإن نجا منه ، فما بعده أيسر منه .

وإن لم ينج منه ، فما بعده أشد منه »

قال : وقال رسول الله ﷺ :

« ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه » [1]

– في هذا الحديث بيان بعض صفات القبر :

* الأولى : أنه أول منازل الآخرة .

وهذا لأن « من مات فقد قامت قيامته » [2] وأن القبر فيه بعض من عذاب القيامة ، وفيه بعض من نعيمها .

وهذا كقولهم أيضاً :

ولو أنا إذا متنا تركنا :. لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا :. ونسأل بعدها عن كل شيء

* والثانية : إما النجاة ، وإما الهلاك .

وهذا متحقق فيما إذا ثبت العبد من الله تعالى أو لا .

* والثالثة : أن منظره أفظع منظر .

وهذا قوله ﷺ :

« ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه ».

« أي ما رأيت منظراً وهو ذو هول وفظاعة إلا والقبر أفظع منه ، وعبر بالمنظر عن الموضع مبالغة ، وإنما كان فظيعاً لأنه بيت الدود والوحدة والغربة »[3]

وعن أبي هريرة ﷺ ، أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد [4] . (أوشاباً) ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها . (أو عنه)

---

(١) حديث حسن : أخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (١٦٨٠) .

(٢) هذه الجملة قالها زياد بن عبد الله النميري . انظر « حلية الأولياء » (٦/٢٦٨) .

(٣) « فيض القدير» (٥/٤٤٦) باختصار يسير .

(٤) أي تكنسه . والقمامة : الكناسة ، والمقمة : المكنسة .

فقالوا : مات

قال : « أفلا كنتم آذنتمونى »[1]

فقال « دلونى على قبره » . فدلوه . فصلى عليها .

ثم قال : « إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإن الله - عز وجل - ينورها لهم بصلاتى عليهم »[2]

فى الحديث بيان صفة من صفات القبور ، وهى :

« إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها » .

* موعظـــة :

« إخوانى :

تفكروا فى الذين رحلوا ، أين نزلوا ؟

وتذكروا أنهم نوقشوا وسئلوا

واعلموا أنكم ترحلون كما رحلوا .

واعملوا فإنهم ودوا لو ردوا فعملوا »[3]

« اسمع : يا من يمشى على ظهور الحفر ، ويرى السابقين إلى بيوت المدر[4] لو أصغى سمع التدبر سمع العبر .

كفى بالموت واعظاً يا عمر »[5]

---

(١) أى أعلمتمونى.

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم فى « كتاب الجنائز » « باب الصلاة على القبر » .

(٣) «المواعظ و المجالس» لابن الجوزى/ تحقيق محمد إبراهيم سنبل (١٧٦) دار الصحابة للتراث بطنطا .

(٤) قطع الطين اليابس . والمقصود : المقابر

(٥) « المواعظ والمجالس » (١٥٢)

(٢) ضمة القبر

للقبر ضمة وضغطة لا ينجو منها أحد

* عن أبى أيوب رضي الله عنه ، قال :

دفن صبى ، فقال رسول الله ﷺ:

« لوأفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبى » (١)

* وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال :

« لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد بن معاذ ، ولقد ضم ضمة ، ثم روخى »(٢)

* وعن ابن عمرو رضى الله تعالى عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : « هذا الذى تحرك له العرش ،

وفتحت له أبواب السماء .

وشهده سبعون ألفاً من الملائكة .

لقد ضم ضمة ، ثم فرج عنه »(٣)

فى هذه الأحاديث الدلالة على أن ضمة القبر وضغطته لا ينجو منها أحد ، فالقبر لم يستثن الصبى ولا الصحابى .

و « ضمة القبر وضغطته : عصره وزحمته . قيل : والمراد : التقاء جانبيه على جسد الميت . قال النسفى : يقال ضمة القبر إنما أصلها أنها أمهم - يعنى الأرض - ومنها خلقوا ، فغابوا عنها الغيبة الطويلة ، فلما ردوا إليها ضمتهم ضمة الوالدة غاب عنها ولدها ثم قدم عليها ، فمن كان لله مطيعاً : ضمته برأفة ورفق ، ومن كان عاصياً : ضمته بعنف ؛ سخطاً منها عليه لربها . .

قال أبو القاسم السعدى : لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح ، غير

---

(١) حديث صحيح : أخرجه الطبرانى فى « الكبير » وانظر « صحيح الجامع » (٥١١٤) .

(٢) حديث صحيح : أخرجه الطبرانى ، وانظر « صحيح الجامع » (٥١٨٢) .

(٣) حديث صحيح : أخرجه النسائى ، وانظر « صحيح الجامع » (٦٨٦٤) .

أن الفرق بين المسلم والكافر فيها : دوام الضغط للكافر . وحصول هذه الحالة للمؤمن فى أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الانفساح له .

قال : والمراد بضغط القبر : التقاء جانبيه على جسد الميت » [1]

(١) سنن النسائى بشرح السيوطى (٤/ ١٠٠-١٠٢)

(٣) حال المؤمن وحال الكافر فى القبر

- اعلم رحمك الله ـ تعالى

أن حال المؤمن فى قبره حال خير ونعمة ونعيم .

وأن حال الكافر فى قبره حال شر وسوء جحيم .

قال مسروق :

«ما غبطت شيئاً بشيء كمؤمن فى لحده :

قد أمن من عذاب الله .

واستراح من الدنيا » (١)

وقال هيثم بن مالك : « كنا نتحدث عند أيفع بن عبد ، وعنده أبو عطية المذبوح ، فتذاكروا النعيم ، فقالوا : من أنعم الناس ؟

فقالوا : فلان و فلان .

فقال أيفع : ما تقول يا أبا عطية ؟

قال : أنا أخبركم بمن هو أنعم منه :

جسد فى لحد قد أمن من العذاب » (٢)

- وأما عن حال المؤمن فى القبر :

* عن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إذا قُبر الميت** :

أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر وللآخر النكير .

فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟

---

(١) « كتاب الزهد » لابن المبارك (٩٢) .

(٢) « كتاب الزهد » لابن المبارك (٩٣) .

فيقول ما كان يقول هو : عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول .

ثم يُفْسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ، ثم يُنَوَّر له فيه .

ثم يقال : نَمْ .

فيقول : أرجع إلى أهلى فأخبرهم .

فيقولان : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه .

حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً ، فقلت مثله ، لا أدرى

فيقولان : قد كنا نعلم إنك تقول ذلك .

فيقال للأرض : التئمى عليه . فتلتئم عليه . فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » [1]

* وعن أنس ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه - وإنه ليسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ محمد صلى الله عليه وسلم . فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة . فيراهما جميعاً.

قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره ثم رجع إلى حديث أنس ، قال :

« وأما المنافق والكافر ، فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس .

فيقال : لا دريت ولا تليت .

---

(١) حديث حسن : أخرجه الترمذى ، وانظر « صحيح الجامع » (٧٣٧) والسلسلة الصحيحة (١٣٩١) .

ويُضرب بمطارق من حديد ضربة ، فـيصيح صيحة سمعهـا من يليه غير الثقلين» [1]

* عن البراء بن عازب ، رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ قال :

« إذا أقعد المؤمن فى قبره أتى ، ثم شـهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فذلك قوله :

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ [2] (إبراهيم : ٢٧)

* وعن جابر ، رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« إذا رأى المؤمن ما فسح له فى قبره ، فيقول : دعونى أبشر أهلى ، فيقال له : اسكن » [3]

* فى هذه الأحاديث تبيين حال المؤمن فى القـبر ، وأنه فى أحسن حال ، من أحواله :

- أن الله ـ تعالى ـ يثبته بالقول الثـابت ، وهذا التثبيت من الله ـ تعالى ـ وهذا القول الثابت هو ما يجيبـه المؤمن عندما يسأله الملكان منكر ونكير عن ربه ، وعن دينه ، وعن الرجل الذى بعث .

- أنه يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ، ويُنَوَّر له فيه .

- أنه يعرض عليه مقعده من الجنة ويبشر به .

- أنه من عظم فرحه يود لو أن يـعود إلى أهله ليبشرهم ويخـبرهم بحاله الطيب فى القبر . فيقال له : اسكن .

وغير هذا من الأحوال الحسنة للمؤمن فى قبره .

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخارى فى «كتـاب الجنائز» باب ما جاء فى عذاب القبر ومسلم فى «كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى « كتاب الجنائز » باب ما جاء فى عذاب القبر .

(٣) حديث صحيح: أخرجه أحمد، والضياء، وانظر «صحيح الجامع» (٥٧١) «والسلسلة الصحيحة» (١٣٤٤).

* وفيها أيضاً بيان حال الكافر والمنافق فى القبر، وإنه أسوأ الأحوال، ومنها

- أنه يخذل فيما يسأل .
- أنه يُضيَّق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه .
- أنه يُرى مقعده من النار ، ويبشر به .
- أنه يُضرب ضربة شـديدة بمطارق من حديد، حتى إنه ليـصيح من ألمها صيحة يسمعها كل شىء إلا الجن والإنس .
- أنه لا يزال معذباً فى قبره حتى يبعثه الله ـ تعالى ـ من قبره .

(٤) عذاب القبر ونعيمه

عذاب القبر ثابت ؛ خلافاً لمن أنكره من الفرق الضالة .

« وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ، ولا يتكلم فى كيفيته ؛ لكونه لا عهد له به فى هذه الدار ، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتى بما تحار فيه العقول . . . .

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، قُبِر أو لم يُقبر ، أكلته السباع ، أو احترق حتى صار رماداً ونسف فى الهواء ، أو صُلب ، أو غرق فى البحر ، ووصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور .

وما ورد فى إجلاسه واختلاف أضلاعه ، ونحو ذلك ، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ، ولا يقصر به عن مراد ما قصده من الهدى والبيان ؛ فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعمله إلا الله ، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت فى الإسلام، وهو أصل كل خطأ فى الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد. والله المستعان. . .

ويجب أن يُعلم أن النار التى فى القبر أو النعيم ، ليست من جنس نار الدنيا ونعيمها ، وإن كان الله ـ تعالى ـ يحمى عليه من التراب والحجارة التى فوقه وتحته حتى تكون أعظم حراً من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها .

بل أعجب من هذا أن يدخل أحدهما إلى جنب صاحبه وهذا فى حفرة من

النار ، وهذا فى روضة من رياض الجنة ، لا يصل من هذا إلـى جاره شيء من حر ناره ، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيـمه . وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً ، وقد أرانا الله فى هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير »[1]

*** ثبوت عذاب القبر ونعيمه فى السنة :**

عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

« **إن أحدكم إذا مـات عرض عليه مقـعده بالغداة والعـشى : إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة**

وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار .

يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة »[2]

قال الإمام النووى - رحمه الله تعالى - " :

« هذا تنعيم للمؤمن .

وتعذيب للكافر »[3]

* وعن عائشة رضي الله عنها : أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبـر . فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ؟ فقال :

« **نعم . عذاب القبر حق** »

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (٣٣٣/ ٣٣٥) باختصار .

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم فى «كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها» «باب عرض مقعد الميت عليه»

(٣) « صحيح مسلم بشرح النووي » (١٧/ ٢٠١, ٢٠٢)

(٤) حديث صحيح : أخرجه أحمد فى «المسند» (٦/ ١٧٤) والخطيب البغدادى فى « التاريخ » (٥/ ٦٤) وانظر « صحيح الجامع » (٣٨٨٧) و « السلسلة الصحيحة » (١٣٧٧)

قالت عائشة : « **فما رأيت رسول الله ﷺ يصلى صلاة بعد إلا تعوذ من عذاب القبر** » [٤]

فى هذا الحديث بيان ثبوت عذاب القبر ، وأنه حق لا مرية فيه .

« قال العلماء : عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، أضيف إلى القبر لأنه الغالب ، فكل ميت أريد تعذيبه عُذِّب قُبِر أم لا . ومحله الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة . وكذا القول فى النعيم » [١]

* وعن أنس رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« **لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر** » [٢]

ومعنى ذلك : « أنهم لو سمعوه لتركوا التدافن حذراً من عذاب القبر . أو لاشتغل كل بخويصته حتى يفضى بهم إلى ترك التدافن .

وقيل : «لا» زائدة . ومعناه : لولا أن تموتوا من سماعه ؛ فإن القلوب لا تطيق سماعه فيصعق الإنسان لوقته ، فكنى عن الموت بالتدافن .

وليس معناه : أنهم لو سمعوا ذلك تركوا التدافن لئلا يصيب موتاهم العذاب كما قيل ؛ لأن المخاطبين وهم الصحب عالمون بأن العذاب ، أى عذاب الله ، لا يرد بحيلة ، فمن شاء تعذيبه عذبه ولو ببطن حوت .

بل معناه : لو سمعوا عذابه تركوا دفن الميت استهانة به ، أو لعجزهم عنه لدهشهم وحيرتهم ، أو لفزعهم وعدم قدرتهم على إقباره . أو لئلا يحكموا على كل من اطلعوا على تعذيبه فى قبره بأنه من أهل النار ، فيتركوا الترحم عليه وترجى

---

(١) « فيض القدير » (٤/٣٠٩)

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم فى « كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها» « باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه» .

العـفو له ، وإنما أحب إسـماعهـم عذاب القبـر دون غيـره من الأهوال ؛ لأنه أول المنازل » (١)

* وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، **أن النبى** ﷺ قال :

« إن الموتى ليعذبون فى قبورهم ، حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم » (٢)

قوله : **« إن الموتى ليعذبون »** .

« أى من يستحق العذاب منهم .

« فى قبورهم »

فيه شمول للكفار ، ولعصاة المؤمنين .

« حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم »

وخُصُّوا بـذلك دوننا لأن لهم قوة يثبتـون بها عند سماعـه بخلاف الإنس ، وصياح الميت بالقبر عقوبة معروفة قد وقعت فى الأمم السالفة » (٣)

*** من أسباب عذاب القبر :**

* عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال :

« إن عامة عذاب القبر من البول ، فتنزهوا منه » (٤)

« أى : من التقصير فى التحرز عنه؛ لأن التطهير منه مقدمة للصلاة التى هى أفضل الأعمال البدنية، وأول ما يخاطب به فى الدنيا بعد الإيمان، وأول ما يحاسب عليه يوم القيامة: والقبر أول درجات الآخرة ، وهو مقدمة لها، فناسب أن يعد فى مقدمة الآخرة على مقدمة الصلاة التى هى أول ما يحاسب عليه فى الآخرة .

---

(١) « فيض القدير » (٥/٣٤٢) باختصار .

(٢) حديث صحيح : أخرجه الطبراني في «الكبير» وانظر « صحيح الجامع » (١٩٦١)

(٣) « فيض القدير » (٢/٣٩٧)

(٤) حديث صحيح: أخرجه عبد بن حميد، والبزار، والطبراني والحاكم، وانظر صحيح الجامع» (٢٠٩٨)

« فتنزهوا »

تحرزوا أن يصيبكم ، وتنظفوا « منه » :

ما استطعتم بحيث لا تنتهوا إلى الوسواس المذموم » [1]

* وعن أبى بكرة ، رضي الله عنه ، قال :

مر النبى ﷺ بقبرين ، فقال :

« إنهما ليعذبان ، وما يعذبان فى كبير :

أما أحدهما فيعذب فى البول .

وأما الآخر فيعذب فى الغيبة » [2]

فى الحديث بيان سبب آخر من أسباب عذاب القبر ، وهو الغيبة .

وذلك أن البول كما أنه قذارة خبث معنوى حسى وليس من طهارة البدن ، فإن الغيبة قذارة وخبث معنوى وليس من طهارة القلب .

والغيبة آفة من آفات اللسان ، وهى كما قال النبى ﷺ :

« الغيبة : ذكرك أخاك بما يكره » [3]

« أى بالشىء الذى يكره لو بلغه :

فى دينه أو دنياه ، أو خَلْقه أو خُلقه .

أو أهله أو خادمه ، أو ماله أو ثوبه .

أو حركته ، أو طلاقته أو عبوسته .

---

(١) « فيض القدير » (٢/٤٥٧ ، ٤٥٨)

(٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، وابن ماجه ، وانظر « صحيح الجامع » (٢٤٣٧)

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وانظر «صحيح الجامع» (٤٠٦٣)

أو غير ذلك مما يتعلق به ، سواء ذكره أو إشارة أو رمز »[1]

*** فصل فى نوعى عذاب القبر :**

وعذاب القبر نوعان :

« منه ما هو دائم : كما قال ـ تعالى :

﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ . (غافر : ٤٦)

وكذا فى حديث البراء بن عازب فى قصة الكافر :

« ثم يفتح له باب النار ، فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة »

والنوع الثانى : أنه مدة ثم ينقطع . وهو عذاب بعض العصاة التى خفت جرائمهم ، فيعذب بحسب جُرْمه ، ثم يخفف عنه »[2]

*** ما ينجى من عذاب القبر :**

الأسباب المنجية من عذاب القبر نوعان :

مجمل ومفصل .

-« **أما المجمل** : فهو تجنب تلك الأسباب التى تقتضى عذاب القبر . . .

- **وأما الجواب المفصل** : فنذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجى من عذاب القبر ، فمنها :[3]

* عن سلمان ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه .

وإن مات : جرى عليه عمله الذى كان يعمله .

وأجرى عليه رزقه

وأمن الفتان »[4]

---

(١) « فيض القدير » (٤/٤١٧)

(٢) « شرح الطحاوية » (٣٣٦)

(٣) « الروح » لابن القيم / تحقيق محمد أسكندر يلدا (١١٠/١١٢) . دار عمر بن الخطاب .

(٤) حديث صحيح : أخرجه مسلم في « كتاب الإمارة » « باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل »

* وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال :

« كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطاً فى سبيل الله ؛ فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان القبر » (١)

* وعن راشد بن سعد من أصحاب النبى ﷺ ، أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » (٢)

* وعن المقدام بن معدى كرب ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« للشهيد عند الله سبع خصال :

يغفر له فى أول دفعة من دمه .

ويرى مقعده من الجنة .

ويُحلّى حلة الإيمان .

ويُزوّج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين .

ويجار من عذاب القبر .

ويأمن من الفزع الأكبر

ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها . ويشفع فى سبعين إنساناً من أهل بيته » (٣)

هذه الأحاديث فيها تبيين فضل الرباط فى سبيل الله ـ تعالى ـ وفضل الجهاد، وفضل الشهادة

(١) حديث صحيح : أخرجه أبو داود ، والترمذي ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (٤٤٣٨)

(٢) حديث صحيح : أخرجه النسائى ، وانظر « صحيح الجامع » (٤٣٥٩) .

(٣) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجة وانظر « صحيح الجامع » (٥٠٥٨)

وفيها بيان الفضل والخير الذى يصيب المرابط والمجاهد والشهيد فى سبيل الله - تعالى - ومنه الأمن من فتنة القبر وعذابه .

* وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر » [1]

الحديث فيه بيـان فضل « سورة تبارك » وأنها تمنع عن قارئهـا عذاب القبر ، وتنجيه منه .

* وعن ابن عمرو ، رضي الله عنهما، أن النبى ﷺ قال :

« ما من مسلم يموت يوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة ، إلا وقاه الله - تعالى - فتنة القبر » [2]

والحديث فيه فضل يوم الجمعة، وفضل من مات فيه أو فى ليلة يوم الجمعة، وأن الله يقيه فتنة القبر وعـذابه ، وهذا لكونه خير يوم طلعت فيه الشمس . وليس ذلك إلا للمسلم .

*** التعوذ من عذاب القبر :**

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر ، فليتعوذ بالله من أربع :

من عذاب جهنم .

ومن عذاب القبر .

ومن فتنة المحيا والممات .

ومن شر المسيح الدجال » . [3]

---

(١) حديث صحيح : أخـرجه الحاكم ، فى « المستدرك » وأبو نعيم فى «الحليـة» وانظر « صحيح الجامع » (٣٥٣٧) و « السلسلة الصحيحة » (١١٤٠) .

(٢) حديث حسن : أخرجه أحمد ، الترمذي ، وانظر « صحيح الجامع » (٥٦٧٩)

(٣) حديث صحـيح : أخرجه مسلم فـى « كتاب المساجد ومـواضع الصلاة » « باب ما يستـعاذ منه فى الصلاة » حديث (١٣٠)

في هذا الحديث استحباب التعوذ بالله ـ تعالى ـ من هؤلاء الأربع عند الفراغ من التشـهد الأخير في الصـلاة، ومن هذه الأربع المستحـبة التعـوذ بالله ـ تعالى ـ منها: عذاب القبر .

(٥) زيارة القبور

شُرِعت زيارة القبور للمسلمين للاتـ ... تذكُّر الموت، والتفكير فى الآخرة .

* عن أنس ، رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ،ألا فزوروها ؛ فإنها تذكركم الموت » . [١]

وهذه هى الفائدة الأولى من زيـارة القبور ، أنهـا تذكر الزائر بالموت ، الذى هو مقدمة القبر والدفن ، فيتذكر الزائر أنه لا محالة ميت ، وصائر إلى ما صار إليه ساكنو هذه القبور .

* وعن أم سلمة ، رضي الله عنها، أن النبى ﷺ قال :

« نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ؛ فإن لكم فيها عبرة » . [٢]

أى : لزائر القبر عظة وعبرة بما يشاهده .

فإن الزائر إذا أمـعن النظر ، وطوف بعين الفكر فى هذه القبـور التى ضمت وجمـعت فى بطونها هذه الناس فـساوت بينهم ظاهراً ، إذا العـزيز جار الحقـير ، والغنى صاحب الفقير، وهكذا. إلا أنها فاضلت بينهم بتفضيل الله ـ تعالى ـ لهم.

* وعن أنس ، رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ؛ فإنها : ترق القلب .

وتُدمع العين .

وتُذكِّر الآخرة .

ولا تقولوا هجراً » [٣]

---

(١) حديث صحيح : أخرجه الحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » (٦٦٦٦)

(٢) حديث صحيح : أخرجه الطبراني في «الكبير» وانظر « صحيح الجامع » (٦٦٦٥)

(٣) حـديث صحـيح : أخـرجـه الحـاكم ، وانـظر « صحـيح الجـامع » حـديث (٤٤٦٠)

وفى هذه الجملة فوائد أشار إليها الحديث فى زيارة القبور :

الأولى : أنها ترق القلب .

أى : تجعل القلب رقيقاً خاشعاً متواضعاً ، بعد أن كان غليظاً غافلاً متكبراً ، وتنزع منه صفات السوء والشر ، وتجعل مكانها صفات الصلاح والخير .

والثانية : أنها تدمع العين :

أى : تستذرف الدموع وترسلها بعد أن كانت جامدة غير جارية ، فتبكى من خشية الله ـ تعالى ـ عند رؤية القبر .

والثالثة : أنها تذكر الآخرة :

وذلك لأن القبر أول منازل الآخرة ، فيتذكر الزائر بمشاهدته القبر :

ما يحصل فيه من فتنة السؤال ، وما فيه من عذاب ونعيم ، ثم بعد ذلك البعث والانتقال إلى دار الآخرة ، وما فيها من حساب وعرض ومجازاة ثم هل المرد إلى الجنة أو النار ؟

وبالجملة :

فقد « قالوا : ليس للقلوب، سيما القاسية أنفع من زيارة القبور؛ فزيارتها وذكر الموت يردع عن المعاصى، ويلين القلب القاسى، ويذهب الفرح بالدنيا، ويُهَوِّن المصائب، وزيارة القبور تبلغ فى دفع رين القلب، واستحكام دواعى الذنب، مالا يبلغ غيرها، فإنه وإن كان مشاهدة المحتضر تزعج أكثر، لكنه غير ممكن فى كل وقت ، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه فى كل أسبوع بخلاف الزيارة » [1]

وفى هذا الحديث السابق النهى عن قول الهجر فى الزيارة ، والهجر الكلام الباطل .

تنبيه : واعلم رحمك الله ـ تعالى ـ أن النساء كالرجال فى استحباب زيارة

(١) « فيض القدير » (٤/٦٧)

القبور . وإن شئت مراجعة هذه المسـألة ففى كتاب « أحكام الجنائز وبدعها » للشيخ العلامة / محمد ناصر الدين الألبانى .

*** موعظـــة :**

« يا أخى إذا أردت أن تدرى كـيف حـالك من بعـدك فـاخرج إلى القبـور وانظرها وقد عـفت ، ومثِّل قبـرك بين القبور ، ثم انظر مـاذا تحتاج إليه فى قبرك فأكثر منه لطول مدتك فيه وهو العمل الصـالح ، فأما ما سوى ذلك فما لك حاجة فى شىء من أمور الدنيـا فإنه يصير عـليك وبالاً فى قبرك وحسـرة ، وانظر حالك الذى أنت عليه إن كـان يصلح للموت والقـبر فتـمادى عليـه ، وإن كان لا يصلح لهذين فتب إلى الله ـ تعالى ـ منها وارجع إلى ما يصلح » [1]

---

(١) «بستان الواعظين ورياض السامعين» ابن الجوزي / تحقيق السيد الجميلي (٢٦٨) دار الريان للتراث .